

الفصل الأول

الأحوال السياسية خلال العصرين الأيوبي والمملوكي

- **نهاية العصر الفاطمي** شهدت تحولاً تاريخياً مهماً نتيجة نجاح الصليبيين في اجتياح بلاد الشام خلال القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي).
- **نتيجة الصليبيين:** تأسيس "مملكة بيت المقدس" على الأراضي التي غزوها.
- **حركة الصليبيين:** اتجهت مشحونة بالحماس الديني بعد خطبة البابا أوربان الثاني في مؤتمر كليرمونت عام 1095م.
- **مقاومة ضعيفة:** لم تصادف القوات الصليبية مقاومة إسلامية موحدة، وتحركوا نحو آسيا الصغرى في ظل غياب التنسيق بين الدول الإسلامية.
- **الأسباب:**
 - الصراع المذهبي بين السنة والشيعة الذي أدى إلى تباعد بين السلاجقة والفاطميين.
 - الضعف والاسترخاء في الدولة العباسية.
 - ضعف الدولة الفاطمية بسبب تولي خلفاء ضعاف وتنازع الوزراء على الحكم.
 - نزاعات داخل الجيش الفاطمي.
 - كوارث طبيعية في مصر، منها انخفاض منسوب النيل.
- **تفوق الصليبيين:** لم يكن بسبب قوتهم، بل بسبب تفرق القوى الإسلامية وضعفها، ما سمح للصليبيين بالسيطرة.
- **ظهور قادة مسلمين:** بعض الزعماء المسلمين برزوا لمواجهة الصليبيين بروح الجهاد، لكنهم افتقروا إلى توحيد القوى الإسلامية لمواجهة الخطر المشترك.
- **دور صلاح الدين الأيوبي:**
 - صلاح الدين كان جندياً في جيش نور الدين محمود.
 - ظروف مصر الفاطمية السيئة في تلك الفترة أدت إلى تدخل نور الدين محمود.
 - نور الدين محمود جذب صلاح الدين الأيوبي إلى الأحداث في مصر، وانتهت بتولي أسد الدين شيركوه الوزارة في 564 هـ / 1169 م.
- **وفاة أسد الدين شيركوه:** توفي بعد شهرين من توليه الوزارة، فاختر الخليفة الفاطمي العاضد صلاح الدين خليفة له في هذا المنصب.
- **بداية صلاح الدين الأيوبي:** اختياره للوزارة كان بداية لبزوغ نجم صلاح الدين الأيوبي، الذي وصفه المؤرخ هاملتون جب بـ "إحدى اللحظات النادرة والمثيرة في التاريخ البشري".

- منتصف القرن الثاني عشر الميلادي (القرن السادس الهجري) شهدت الدولة الفاطمية ضعفًا كبيرًا.
- علامات ضعف الدولة:
 - العديد من الخلفاء ماتوا مقتولين.
 - تحكم الوزراء في شؤون الدولة والخلافة.
- موت الخليفة الظافر:
 - مات مقتولاً في سنة 549 هـ / 1154م.
 - بعد موته، استبد الوزير طلائع بن زريك بالأمر في مصر، وكان الخليفة الفائز طفلاً صغيراً ولا يمتلك سوى لقب الخلافة.
- وفاة الخليفة الفائز:
 - توفي الفائز في سنة 555 هـ / 1160م عن 11 عاماً.
 - أقام الوزير طلائع خليفة جديداً هو الخليفة العاضد، الذي كان صغيراً في السن أيضاً.
 - هذا الوضع سمح للوزير طلائع بالتحكم في الخلافة واستعراض المرشحين لها.
- مؤامرة ضد طلائع بن زريك:
 - الخليفة العاضد عقد مؤامرة مع الأمراء لقتل طلائع بن زريك.
 - نجحت المؤامرة في سنة 556 هـ / 1161م.
- خلفاء طلائع بن زريك:
 - خلفه ابنه العادل في منصب الوزارة حتى قتله شاور حاكم الصعيد في سنة 558 هـ / 1163م.
 - تولى شاور الوزارة بدلاً منه.
- الاستبداد والصراع على الوزارة:
 - شاور استبد بالأمر وساءت سيرته.
 - تطور النزاع بينه وبين ضرغام على منصب الوزارة، الذي أصبح محط أطماع قادة الجيش وكبار رجال الدولة.
- التنافس على الوزارة في ظل الفوضى:
 - الفوضى انتشرت في البلاد بسبب التنافس بين شاور وضرغام.
 - في هذه الأثناء، بدأ عموري الأول ملك بيت المقدس بالتطلع لغزو مصر.
- طلب التدخل الصليبي:
 - ضرغام طلب من الصليبيين التدخل في شؤون الدولة الفاطمية، وعرض عليهم دفع جزية سنوية مقابل مساعدتهم له ضد منافسه شاور.
- نتيجة النزاع:
 - انتهى النزاع بتولي ضرغام الوزارة.

حملة شيركوه الأولى (٥٥٩هـ / ١٦٤م):

- فرار شاور إلى دمشق:
 - في سنة 1158 هـ / 1172م، فر شاور إلى دمشق ليلجأ إلى نور الدين محمود وعرض عليه مساعدته في العودة إلى منصب الوزارة في مصر مقابل دفع تكاليف الحملة السنوية وتلث خراج مصر.
- موافقة نور الدين محمود:
 - وافق نور الدين محمود على إرسال حملة بقيادة أسد الدين شيركوه لمساعدة شاور، بهدف توحيد الجبهة الإسلامية لمواجهة الخطر الصليبي.
- مشاركة صلاح الدين الأيوبي:
 - كان صلاح الدين الأيوبي ابن أخ شيركوه ورافق الحملة إلى مصر.
- رد فعل ضرغام:
 - علم ضرغام بالحملة ففزع وأرسل إلى عموري ملك بيت المقدس طالبًا مساعدته ضد شيركوه مقابل مال سنوي، مع وعد بأن تصبح مصر تابعة للصليبيين.
- مسار الحملة العسكرية:
 - سلكت الحملة طريقًا عبر الكرك والشوبك إلى آيلة (العقبة حاليًا) ثم إلى السويس ومنها إلى القاهرة.
- معركة تحت أسوار القاهرة:
 - دارت معركة عنيفة تحت أسوار القاهرة انتهت بهزيمة ضرغام وقتله في رجب 559 هـ / يونيو 1163م بعد أن تخلى عنه كل أنصاره، ودخل شاور منتصرًا برفقة شيركوه وأعيد إلى منصب الوزارة.
- خيانة شاور:
 - بعد أن تحقق شاور هدفه في استعادة منصبه، بدأ في خيانة شيركوه بعدم الوفاء بوعده المالي، وطلب منه الانسحاب بجيشه من مصر.
- لجوء شاور إلى الفرنجة:
 - لجأ شاور إلى عموري مجددًا، طالبًا مساعدته لإخراج شيركوه من مصر مقابل أموال ضخمة، في محاولة للمحافظة على منصبه في الوزارة.
- توجه عموري إلى مصر:
 - وافق وخرج بجيشه إلى مصر خوفًا من تحالف بين مصر والشام تحت سيطرة نور الدين محمود، مما قد يؤدي إلى تهديد الوجود الصليبي.
- حصار بلبيس:
 - عموري وحلفاؤه حاصروا شيركوه في بلبيس لمدة 3 أشهر.
- ضغط نور الدين محمود:
 - ضغط نور الدين محمود:

- شعر نور الدين محمود بالتهديد وأرسل الأموال المغنومة من معاركه ضد الصليبيين إلى شيركوه.
- فكر عموري في الانسحاب:
- مع تحسن الوضع العسكري لشيركوه، فكر عموري في الانسحاب ووافق على اتفاق مع شيركوه للخروج معاً من مصر.
- الخروج من مصر:
- انتهى النزاع بخروج شيركوه وعموري من مصر، وواصل شيركوه طريقه إلى الشام.
- محاولة قتل شيركوه:
- حاول الصليبيون اغتيال شيركوه أثناء عودته إلى الشام، لكنه علم بذلك وتجنب الطريق الذي كان به كمين.
- التنافس مستمر:
- لم ينته الصراع بين نور الدين محمود والفرنجة على مصر، بل كان بداية لمحاولة كل طرف الاستيلاء على مصر.

حملة شيركوه الثانية ٥٦٢هـ / ١١٦٦م:

فكر شيركوه في الحملة الثانية على مصر للأسباب التالية:

1. سوء الحالة الاقتصادية والسياسية في مصر:
 - لاحظ شيركوه مدى الضعف السياسي والعسكري الذي تعيشه مصر، بالإضافة إلى تدهور الحالة الاقتصادية، مما جعلها مكاناً ملائماً للغزو والسيطرة. كما أنه اكتشف الثروات والموارد البشرية الهائلة التي تتمتع بها مصر، ما يجعل السيطرة عليها مهمة جداً لمن يحققها.
2. حقه على شاور:
 - بعدما ثبت غدر شاور وعدم وفائه بالوعود التي قطعها لـ شيركوه، وخاصة خيانتته لمساعدته والتخلي عن التزاماته المالية، ازداد حقه شيركوه عليه، وهو ما دفعه للتفكير في الحملة الثانية للانتقام منه واستعادة مكانته.
3. دعم الخلافة العباسية:
 - في ذلك الوقت، كانت الخلافة العباسية تسعى للقضاء على الخلافة الشيعية في مصر، وبالتالي دعم الخليفة العباسي شيركوه في حملته على مصر. فقد أرسل الخليفة العباسي رسالة إلى الأمراء يطلب منهم دعم شيركوه في حملته على مصر.
4. استنكار الوضع في مصر:
 - بعد الحملة الأولى، عاد شاور إلى ممارسات الظلم وسفك الدماء. هذا أثر بشكل كبير على الخليفة العباسي الذي كتب إلى نور الدين محمود يطلب مساعدته في التخلص من شاور. وبذلك، قرر نور الدين محمود إرسال شيركوه للحملة الثانية في 1166م.

تفاصيل الحملة الثانية:

● تحرك الحملة:

- في سنة 1166م، أرسل نور الدين محمود شيركوه مع صلاح الدين الأيوبي وجمع من الأمراء لقيادة الحملة، التي دخلت مصر عبر ساحل البحر الأحمر من جهة الصعيد.
- تحصن شيركوه في الجيزة:
- استقر شيركوه في الجيزة، وعسكر فيها لمدة 50 يومًا استعدادًا للقتال ضد شاور الذي كان قد جمع قواته وطلب مساعدة الفرنج بقيادة عموري.
- معركة البابين:
- في معركة البابين (1166م)، ورغم تفوق عدد الفرنج وشاور في العتاد والجنود، انتصرت قوات شيركوه، ما أجبر الفرنج وشاور على الانسحاب إلى القاهرة.
- حصار الإسكندرية:
- توجه شيركوه إلى الإسكندرية حيث استقبله أهلها من السنيين الذين كانوا يكرهون المذهب الإسماعيلي. وبعد أربعة أشهر من حصار شاور والفرنج للإسكندرية، قام شيركوه بكسر الحصار عن المدينة.
- مفاوضات الصلح مع شاور والفرنج:
- بعد أن فشل شاور والفرنج في حصار الإسكندرية، طلبوا الصلح مع شيركوه. تم الاتفاق على دفع 50 ألف دينار، وعودة الإسكندرية إلى التبعية للفاطميين، بينما تم الاتفاق على إخراج الفرنج والنوريين من مصر.
- معاهدة سرية بين شاور وعموري:
- في خلفية هذه المفاوضات، وقع عموري مع شاور معاهدة جانبية تضمنت عدة شروط، منها:
 - وجود حامية صليبية في القاهرة.
 - تحكم الفرسان الصليبيون في أبواب القاهرة.
 - دفع شاور لعموري 400 ألف دينار مقدمًا.
 - دفع 200 ألف دينار سنويًا للصليبيين من دخل مصر.

حملة شيركوه الثالثة على مصر : ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م:

اختار الخليفة العاضد صلاح الدين لتولي منصب الوزارة للأسباب التالية:

1. **الحادثة في السن:** كان صلاح الدين في الثانية والثلاثين من عمره، مما جعل الخليفة العاضد يعتقد أنه أقل خبرة في شؤون الحرب والسياسة مقارنة ببقية القادة الكبار في الجيش النوري، مما يتيح له التحكم فيه واستخدامه كأداة لتنفيذ مخططاته.

2. **الثقة في ولائه:** اختار العاضد صلاح الدين جزءاً على ما قدمه عمه شيركوه من خدمات، ومشاركته في القضاء على الفتن التي تسببت في تدخل الفرنج في مصر.
3. **إضعاف نفوذ الجيش النوري:** كان العاضد يهدف إلى تقليل نفوذ الجيش النوري في مصر، وكان يعتقد أن صلاح الدين سيكون أكثر سهولة في التحكم من القادة الآخرين مثل عين الدولة الياروقي وقطب الدين ينال المنجي، مما يتيح له التخلص من النفوذ النوري بشكل تدريجي.
4. **دور صلاح الدين في تقوية مركزه:** بعد توليه الوزارة، بدأ صلاح الدين في اتخاذ خطوات لتقوية مركزه، مثل تقليص إقطاعات الأمراء المصريين وزيادة إقطاعات الشاميين، مما ساعد على زيادة نفوذه في مصر، وأضعف نفوذ العاضد. كما تمكن من السيطرة على ممالك عمه شيركوه والجند السودانيين، وأرسل له نور الدين محمود قوة جديدة من العسكر.
5. **السيطرة على السلطة:** بدأ صلاح الدين في التحكم المباشر في شؤون البلاد من خلال حجه للخليفة العاضد ومنعه من اتخاذ أي قرارات، مما مهد الطريق لصلاح الدين لتولي زمام الأمور بشكل كامل.

كل هذه العوامل ساهمت في اختيار الخليفة العاضد لصلاح الدين للمنصب، وقد كانت بداية مرحلة جديدة في تاريخ مصر، حيث تولى صلاح الدين السلطة بيد قوية.

الصعوبات التي واجهت صلاح الدين داخليا وخارجيا

مؤامرة مؤتمن الخلافة والجند السواد (٥٦٤هـ / ١١٦٨م)

في عام 564 هـ / 1168م، تعرض صلاح الدين لمؤامرة داخلية كانت تهدف إلى الإطاحة به واستعادة السلطة لصالح بعض العسكريين الفاطميين والفرنج. كانت هذه المؤامرة تقودها شخصية تُدعى **مؤتمن الخلافة جوهر**، الذي كان يطمح في تولي وزارة مصر بعد وفاة شاور، وكان قد شارك في قتل شاور. وعندما تولى صلاح الدين الوزارة، شعر جوهر بالتهديد من سلطته، فقرر تدبير مؤامرة للإطاحة به.

تفاصيل المؤامرة:

1. **الثورة الداخلية:** قام جوهر بتنسيق ثورة مع جنده من السودانيين في الجيش الفاطمي.
2. **التعاون مع الفرنج:** قام جوهر بإرسال رسالة إلى الفرنج، خاصةً إلى عموري، ليطلب مساعدتهم في الإطاحة بصلاح الدين، على أن يتم القبض على صلاح الدين حين يخرج لملاقاة القوات الصليبية.
3. **اكتشاف المؤامرة:** بينما كان رسول جوهر يحمل الرسالة المخفية داخل نعليه، تم اكتشافها بواسطة رجل تركماني، الذي أحضر النعال إلى صلاح الدين. عند فتحها، اكتشف صلاح الدين تفاصيل المؤامرة ضد حكمه.
4. **إجراءات صلاح الدين:** لم يُظهر صلاح الدين أنه اكتشف المؤامرة بل أظهر تجاهلاً لها وأوهم جوهر بالأمان. ثم أرسل صلاح الدين رجاله لاعتقال جوهر أثناء وجوده في قصره بقرية الخرقانية بالقرب من قليبوب.

نتائج المؤامرة:

- **مقتل جوهر:** تم اغتيال مؤتمن الخلافة جوهر في 25 من ذو القعدة 564 هـ (20 أغسطس 1169م).

- **ثورة الجند السودانيين:** بعد مقتل جوهر، ثار الجند السودانيون الذين كان يتجاوز عددهم 50,000، وهاجموا دار الوزارة، مما أدى إلى اشتباك دام لمدة يومين مع قوات صلاح الدين بقيادة أخيه تورانشاه.
- **مذبحة الجنود السود:** انتهت الاشتباكات بمذبحة رهيبة للجنود السودانيين، حيث تم إجبارهم على مغادرة القاهرة بعد أن تم منحهم الأمان بشرط عدم البقاء في المدينة.
- **قمع التمرد:** بالرغم من خروج الجنود السود إلى الجيزة، قامت قوات صلاح الدين بمطاردتهم وتدمير معسكراتهم، ولم ينج منهم إلا القليل.

تدابير صلاح الدين بعد الحادث:

- بعد هذه الأحداث، بدأ صلاح الدين في اتخاذ الحيلة والحذر. عين **بهاء الدين قراقوش** مشرفاً على قصر الخلافة، وهو الرجل الذي كان يشغل منصب مؤتمن الخلافة جوهر قبل مقتله. وكان قراقوش شخصية حازمة وضع القصر تحت رقابة صارمة، مما ساعد صلاح الدين في إحكام السيطرة على الأمور.
- هذه المؤامرة كانت نقطة فارقة في تعزيز سلطته وتوسيع نفوذه في مصر، حيث استطاع القضاء على التهديدات الداخلية بشكل حاسم، مما مهد له الطريق لفرض سلطته المطلقة في البلاد.

حملة عموري ملك بيت المقدس على دمياط ٥٦٥هـ / ١١٦٩م

هذه الحملة تشكل جزءاً مهماً من تاريخ مصر في فترة حكم صلاح الدين، وتُظهر كيف تعامل مع تهديدات من مختلف الجهات وأظهر قدرة عالية على التكيف والتخطيط العسكري الفعال. هنا نستعرض أبرز نقاط الحملة:

حملة عموري ملك بيت المقدس على دمياط ٥٦٥هـ / ١١٦٩م:

1. **الخلفية:** بعد استقرار صلاح الدين في مصر، أدرك الصليبيون في الشام خطر توسع سلطته. كان عموري ملك بيت المقدس يدرك أن وجود صلاح الدين في مصر يهدد سلطته في مناطق الساحل الشامي.
2. **تحركات عموري:** عموري طلب الدعم من أوروبا والبيزنطيين لمواجهة صلاح الدين. وعلى الرغم من البداية الفاشلة في محاولاته، فإن التحالف مع الإمبراطور البيزنطي مانويل أدى إلى إرسال أسطول ضخّم من البيزنطيين لدعم الحملة الصليبية.
3. **إجراءات صلاح الدين:** كان رد فعل صلاح الدين سريعاً، حيث طلب الدعم من نور الدين محمود في الشام وأرسل إمدادات إلى دمياط عبر النيل، كما قام بتعزيز الدفاعات في المنطقة.
4. **حصار دمياط:** استمر حصار المدينة لأكثر من 50 يوماً، حيث قاوم أهل دمياط الأسطول البيزنطي بشجاعة. ومع نقص المؤن والصعوبات اللوجستية، اضطر الأسطول البيزنطي إلى الانسحاب بعد تكبده خسائر كبيرة.
5. **نتيجة الحملة:** فشل الحملة الصليبية في احتلال دمياط عزز موقف صلاح الدين في مصر، وساهم في تعزيز قبضته على البلاد.

تطورات لاحقة:

- **التخلص من المذهب الشيعي:** بعد فشل الحملة، بدأ صلاح الدين في القضاء على الخلافة الفاطمية، وأعاد الخطبة للخليفة العباسي، مما أسفر عن سقوط الخلافة الفاطمية في ١١٧١م.
- **تهديدات أخرى:** كانت هناك محاولات أخرى من الغرب والجنوب لمهاجمة مصر، مثل محاولة الأسطول الصقلي في ١١٧٣م والهجمات من السودان والعبيد في النوبة، لكن صلاح الدين تصدى لها بنجاح.

الدروس المستفادة:

- **الاستراتيجية العسكرية:** أبرزت الحملة كيف أن صلاح الدين كان على دراية بتكتيكات الأعداء، وحرص على تعزيز الدفاعات وحشد الدعم العسكري في الوقت المناسب.
- **التعامل مع الأزمات:** أظهرت الحملة كيف واجه صلاح الدين تهديدات متعددة في وقت واحد من جبهات مختلفة، بما في ذلك من خلال تحركات سريعة وأسلوب عسكري محنك.

تلك الأحداث شكلت بداية قوية لدعم مركز صلاح الدين في مصر وتوسيع نفوذه في المنطقة، مما مهد الطريق لفترة طويلة من الاستقرار تحت حكم الأيوبيين.

الخلاف بين نور الدين محمود وصلاح الدين

- **نفوذ صلاح الدين في مصر:** بدأ صلاح الدين نفوذه في مصر كوزير للخليفة العاضد، وكان في الوقت نفسه تابعًا لنور الدين محمود ونائبًا عنه في مصر.
- **الخيارات التي واجهها صلاح الدين:** كان عليه أن يختار بين الاستمرار في ولائه لنور الدين أو الاستقلال بمصر.
- **الموقف الغامض لصلاح الدين:** ظل موقف صلاح الدين غامضًا، حيث اعتبره نور الدين نائبًا عنه، بينما بعث صلاح الدين برسالة إلى بغداد معلناً سقوط الخلافة الفاطمية.
- **توجيهات نور الدين:** في سنة 567هـ (1171م)، أرسل نور الدين إلى صلاح الدين أمرًا بحصار حصن الكرك لملاقاة الصليبيين. بدأ صلاح الدين الحصار لكنه رفعه عندما علم بمسير نور الدين إليه من دمشق.
- **إعتذار صلاح الدين:** أرسل صلاح الدين رسالة لنور الدين يعتذر فيها عن الاستمرار في الحصار بسبب المخاوف من اضطراب الوضع في مصر، مما أغضب نور الدين.
- **تصميم نور الدين على دخول مصر:** غضب نور الدين من تصرف صلاح الدين وعزم على دخول مصر وإبعاده عنها.
- **استشارة صلاح الدين لعائلته:** شعر صلاح الدين أن علاقته مع نور الدين وصلت إلى طريق مسدود، فاستشار عائلته وأقاربه حول الموقف.
- **نصيحة نجم الدين:** نجم الدين والد صلاح الدين نصحه بالامتنال لنور الدين، مؤكدًا أن أي تصرف ضد نور الدين سيجلب المشاكل، وأنه يجب عليه الاعتذار.
- **توجيه نصيحة هامة:** نجم الدين نصح صلاح الدين بعدم إشراك الجميع في خططه وأنه في حال تصرف ضد نور الدين، لن يكون لديه دعم من الجيش.
- **قرار صلاح الدين:** بناءً على نصيحة والده، قرر صلاح الدين الامتنال لنور الدين والاعتذار له.
- **هدية صلاح الدين لنور الدين:** في سنة 568هـ (1172م)، أرسل صلاح الدين هدية لنور الدين تشمل حيوانات نادرة، ذخائر، وأمتعة مختارة من القصر الفاطمي، إلى جانب طيب وعطر. لكن نور الدين استقل الهدية، ومع ذلك أظهر شكره وأشاد بفضائل صلاح الدين.

- إرسال وزير نور الدين: نور الدين كان لا يزال يشك في نوايا صلاح الدين، فبعث وزيره موفق الدين خالد بن القيسواني لتحقيق من الوضع في مصر وحساب ما استولى عليه صلاح الدين من ممتلكات الخلفاء الفاطميين.
- استراتيجية صلاح الدين: صلاح الدين كان يسعى لتأسيس دولة أيوبية سنية في مصر أو اليمن أو بلاد النوبة كقاعدة للجهاد ضد الصليبيين بعد استقرار الأمور داخليًا.
- الرؤية السياسية لنور الدين: كان نور الدين يعتقد أن سوريا هي الساحة الأساسية لمواجهة الصليبيين، بينما كانت مصر بالنسبة له مصدرًا للموارد المالية.
- خطط صلاح الدين لتكوين جيش قوي: صلاح الدين رأى ضرورة بناء جيش قوي لتأمين مصر ومواردها، وأصر على استخدام كافة الموارد لتحقيق هذا الهدف.
- تغيير موقف نور الدين: بعد وفاة نجم الدين أيوب والد صلاح الدين، بدأ نور الدين يجهز جيوشه للقدوم إلى مصر بعد أن شعر بأن صلاح الدين يتباطأ في غزو الصليبيين.
- موت نور الدين: بينما كان نور الدين يجهز جيوشه، توفي عن عمر 56 عامًا، مما أزال عقبة أمام صلاح الدين لتحقيق هدفه في تأسيس دولة مستقلة في مصر.
- استيلاء صلاح الدين على دمشق: بعد وفاة نور الدين، دخل صلاح الدين دمشق بدون مقاومة من أهلها، حيث اجتمع الناس حوله وفرحوا به. قام بصرف أموال لإرضاء الأهالي وألغى الضرائب التي فرضها نور الدين.

هزيمة الرملة

- موقعة الرملة (تل الصافية): في سنة 573هـ (1177م)، قرر صلاح الدين شن هجوم على سواحل فلسطين لملاقاة الفرنج، وتجمع معه جيش من مصر. بعد أن وصل إلى عسقلان، تعرض لعدة انتصارات على الفرنج، ولكن سرعان ما استرخت صفوف جيشه بسبب عدم إظهار الفرنج مقاومة، ما جعل الجنود يخفون من حذرهم ويتخلون عن النظام العسكري الصارم الذي فرضه صلاح الدين.
- المفاجأة والهزيمة: واصل صلاح الدين سيره نحو الرملة بهدف محاصرة حصون الفرنج، لكن بينما كان جيشه يعبر نهر تل الصافية قرب الرملة، فاجأهم الفرنج بقيادة أرباط. تصاعدت الأمور بشكل سريع، وازدحم الجيش المسلم بسبب كثرة الفرنج، ما أدى إلى هزيمة مؤلمة لصلاح الدين الذي نجا من القتل بصعوبة. عاد إلى مصر وعاهد نفسه ألا يضرب له هزيمة جديدة حتى يهزم الفرنج.
- الهزيمة وتأثيرها: الهزيمة في موقعة الرملة كانت كبيرة ومؤلمة لصلاح الدين، كما ذكر ابن الأثير في أحد رسائله التي كتبها صلاح الدين نفسه بعد الحادثة، حيث وصف الموقف بأنه كان قريبًا من الهلاك.
- استعادة الثقة لدى الفرنج: الهزيمة التي مني بها صلاح الدين في موقعة تل الصافية أعطت دفعة معنوية للفرنج وأعادت لهم الثقة، ما جعلهم يواصلون هجماتهم على المسلمين في شمال الشام، كما عززوا مراكزهم في الجنوب.
- تحصينات الصليبيين: في هذه الفترة، بدأ بلدوين الرابع، ملك الصليبيين، في بناء قلعة جديدة قرب بانياس، في موقع يعرف بمخاضة الأحران. اعتقد الصليبيون أن هذا المكان هو المكان الذي كان يعقوب عليه السلام يبكي فيه على يوسف عليه السلام.
- القتال بالقرب من مخاضة الأحران: في سنة 574هـ/1178م، غادر صلاح الدين مصر متوجهًا إلى الشام حيث خاض معركة عنيفة مع الفرنج بالقرب من حصن مخاضة الأحران. انتهت المعركة بهزيمة الفرنج بقيادة ملكهم، ووقع عدد كبير من القادة الفرنج في أسر المسلمين، بينهم مقدم الداوية ومقدم الاستبارية. ثم قام صلاح الدين بحصار الحصن حتى تم افتتاحه، وبعد ذلك هدمه بالكامل.
- هدنة مع بلدوين: بعد هذا الانتصار الكبير، سعى بلدوين الرابع، ملك بيت المقدس، إلى عقد هدنة مع صلاح الدين في سنة 576هـ/1180م، محاولة لتخفيف الضغوط العسكرية عليه.

- **تطورات في الموصل وحلب:** في سنة 576هـ/1180م، توفي سيف الدين غازي صاحب الموصل، وتولى مكانه أخوه عز الدين مسعود. طلب عز الدين مسعود من صلاح الدين السيطرة على بعض المناطق التي كانت تابعة لأخيه سيف الدين، مثل سروج والرها والرقعة، إلا أن صلاح الدين رفض لأن هذه الأراضي كانت جزءاً من مصر بتفويض من الخلافة العباسية.
- **وفاة الملك الصالح إسماعيل:** في سنة 577هـ/1181م، توفي الملك الصالح إسماعيل صاحب حلب فجأة عن عمر 19 عاماً. وقد أوصى أن يخلفه ابن عمه عز الدين مسعود. وسرعان ما سيطر عز الدين مسعود على حلب، لكنه لم يتمكن من الحفاظ على حكمها بسبب المسافة البعيدة بين حلب والموصل. لذلك، تنازل عن حلب لصالح عماد الدين زنكي الثاني مقابل أن يحصل على سنجار.
- **وحدة أراضي صلاح الدين:** هذه التطورات في الموصل وحلب لم تكن لصالح صلاح الدين، حيث كان يسعى لتحقيق الوحدة في المنطقة. لذلك، أمر ابن أخيه تقي الدين عمر صاحب حماة بالتحضير للحرب، كما وجه معين الدين عبد الرحمن صاحب الرامونان للانضمام إلى تقي الدين.
- **مراسلة الخليفة العباسي:** في نفس الفترة، بعث صلاح الدين برسالة إلى الخليفة العباسي المستضيء بالله يشكو فيها من غدر عز الدين مسعود، ويذكر أن حلب كانت ضمن الأراضي التي فوضها له الخليفة، مشيراً إلى تصرفات الحلبيين من إغارات على الرامونان والتعاون مع الصليبيين.
- **التحضير للزحف إلى الشام:** قرر صلاح الدين التحرك نحو الشام، فجمع جيوشه وأعد الأسلحة، وتولى بهاء الدين قراقوش الإشراف على التحصينات في القاهرة. في سنة 578هـ/1182م، غادر صلاح الدين مصر متجهاً إلى الشام في حملته الأخيرة من مصر.
- **غارة على الكرك والشوبك:** في طريقه إلى الشام، سلك صلاح الدين طريق أيلة. عندما وصلت أخبار مسيرته إلى الصليبيين، تجمعوا في الكرك لمحاولة الاستيلاء على قافلة صلاح الدين. إلا أن صلاح الدين شن غارة على معقلهم في نواحي الكرك والشوبك، ولم يخرج له من الصليبيين أحد. في نفس الوقت، أغار فروخشاه على حصن الثقيف، وأسر العديد من الجنود وأخذ الغنائم.
- **المعركة بالقرب من حصن كوكب:** وصل صلاح الدين إلى دمشق، حيث استراح لفترة قصيرة قبل أن يغادر لمهاجمة معقل الصليبيين في طبرية وبيسان. التقى بهم في معركة تحت حصن كوكب، حيث هزمت القوات الصليبية، وفروا إلى الحصن. عاد صلاح الدين بعدها إلى دمشق.
- **محاولة الاستيلاء على بيروت:** غادر صلاح الدين دمشق متوجهاً للاستيلاء على بيروت، وأرسل إلى أخيه العادل، نائبه في مصر، لإرسال الأسطول المصري لحصار المدينة. وصل الأسطول إلى بيروت، لكنه رغم الهجمات البرية لم يتمكن من الاستيلاء عليها. ومع طول الحصار، قرر صلاح الدين الانسحاب والعودة إلى دمشق.
- **الزحف نحو شمال الشام وأعالي العراق:** بعدما وصلته أخبار عن تحركات صليبية تهدف إلى شغل صلاح الدين عن الثغور الإسلامية، قرر صلاح الدين التوجه إلى شمال الشام وأعالي العراق. بلغه اقتراح من مظفر الدين كوكبوري صاحب حران بعبور الفرات والاستيلاء على المناطق الواقعة شرقة قبل التوجه إلى حلب. وافق صلاح الدين على هذا الرأي، واستولى على حران والرها والرقعة والخابور ونصيبين.

- **حلف ضد إمارة الموصل:** بعد استيلائه على هذه المناطق، شكل صلاح الدين حلفًا قويًا من أمراء الجزيرة ضد إمارة الموصل. ثم زحف نحو الموصل، حيث أحكم حصارها وشن عليها هجمات، ولكن حصون الموصل منعت تقدمه، بالإضافة إلى استعداد عز الدين مسعود للدفاع عن المدينة.
- **الوساطة العباسية والفشل في التوصل إلى اتفاق:** شعر عز الدين مسعود بالقلق من تفوق صلاح الدين العسكري وأرسل إلى الخليفة العباسي للتدخل وطلب الصلح بين الطرفين. بدأت مفاوضات بين الطرفين ولكنها فشلت في النهاية. تدخلت أطراف أخرى في محاولة للصلح، لكنها أيضًا باءت بالفشل.

المناوشات مع الفرنج

- **خوف الصليبيين بعد استيلاء صلاح الدين على حلب:** عندما وصل خبر استيلاء صلاح الدين على حلب، أصاب الصليبيين الخوف والفرع لأنهم كانوا يدركون أن ضم حلب سيضع ممتلكاتهم في الشام في حالة حصار دائم. ذلك لأن حلب كانت قريبة من ممتلكاتهم، وخاصة إمارة إنطاكية.
- **إرسال بهيموند الثالث أسرى المسلمين:** بعد استيلاء صلاح الدين على حلب، أرسل بهيموند الثالث، صاحب إمارة إنطاكية، جماعة من أسرى المسلمين إلى صلاح الدين، وحصل على عفوهم وأمانه.
- **غارات الصليبيين أثناء غياب صلاح الدين:** استفاد الصليبيون من غياب صلاح الدين في الجزيرة وشنوا غارات على ممتلكات المسلمين، وخاصة على أملاك المسلمين في شبه الجزيرة العربية والبحر الأحمر.
- **محاولة ارتباط صاحب حصن الكرك بالاعتداء على الحرمين الشريفين:** في خريف سنة ٥٧٨هـ / ١١٨٢م، قام ارتباط صاحب حصن الكرك بمحاولة جريئة استهدفت الاستيلاء على الحرمين الشريفين والاعتداء على قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وهدم الكعبة.
- **بناء السفن واستعمالها في الغارات:** قام ارتباط ببناء عدة سفن ونقلها مفككة على ظهور الجمال حتى خليج العقبة، ثم أعاد تركيبها وشحنها بالرجال والعتاد.
- **غارات على الموانئ المصرية:** بدأ ارتباط في شن غارات على الموانئ المصرية في البحر الأحمر، مثل ميناء عيذاب الذي يواجه جدة، حيث استولى على مراكب التجار وأسر بعض رجالها، وقتل عددًا كبيرًا من المسلمين.

موقعة حطين ٥٨٣هـ / ١١٨٧م:

- **الهدنة بين صلاح الدين وبلدوين:** في سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م، عقد صلاح الدين هدنة مع بلدوين ملك بيت المقدس.
- **نقض الهدنة من قبل البرنس أرناط:** في سنة ٥٨٢هـ / ١١٨٦م، نقض البرنس أرناط صاحب حصن الكرك الهدنة وهاجم قافلة تجارية للمسلمين كانت في طريقها من مصر إلى الشام، فنهبها وقتل العديد من أفرادها وأسر البعض.
- **موقف ملك بيت المقدس جاي لوزنيان:** حاول ملك بيت المقدس جاي لوزنيان أن يضغط على أرناط لإصلاح ما أفسده، لكنه رفض واعتبر نفسه مستقلاً.

- **تهديد صلاح الدين:** عندما أصر أرناط على عصيانه، نذر صلاح الدين أن يستبيح دمه إذا ظفر به، مما أنهى الهدنة مع ملك بيت المقدس وأدى إلى إعلان الحرب.
- **تحضير الجبهة الإسلامية:** صلاح الدين أعلن الجهاد وطلب الدعم من نوابه في الموصل والجزيرة وإربل ومصر وسائر الشام استعدادًا للحرب ضد الصليبيين.
- **تحرك صلاح الدين:** خرج صلاح الدين من دمشق وتوجه إلى بصرى لحماية قافلة من الحجاج العائدين من الحجاز، وكان ضمن القافلة أخت صلاح الدين وابنها وجماعة من الخوارج، خوفًا من غدر أرناط الذي كان يتحكم في طريق العسكر المصري والحاج الشامي.
- **غارات على الصليبيين:** بعد وصول القافلة بسلام، بدأت الفرقة المصرية في إغارة أملاك الصليبيين في الكرك والشوبك وتدميرها.
- **التجمع العسكري:** بعد شهرين، تجمعت الجيوش العربية الإسلامية من دمشق وحلب ومصر وديار بكر، ثم شنت هجومًا على طبرية بقيادة ابن صلاح الدين الأفضل.
- **معركة صفورية:** في ربيع الأول سنة ٥٨٣هـ / مايو ١١٨٧م، انتصر المسلمون انتصارًا ساحقًا على فرسان الدواية والاستبارية غرب صفورية، واستولوا على طبرية، ولم يمتنع عليهم سوى قلعتها.
- **التحضير لموقعة حطين:** هذا النصر كان بداية لمجموعة من الانتصارات التي أسست للنجاح الكبير في معركة حطين.
- **تجهيز صلاح الدين:** بعدما علم صلاح الدين بالانتصارات التي حققها المسلمون في طبرية، توجه إلى عشتري في حوران وبلغت قواته حوالي عشرين ألف جندي، قسموا بين من يحملون الأسلحة الخفيفة والثقيلة. بدأ بتعيين مراكز الأمراء وطلب من الجنود عدم التحرك من مواقعهم.
- **خطة الصليبيين:** في يونيو من نفس السنة، خرج صلاح الدين إلى فلسطين وقرر التمرکز غرب البحيرة بهدف إبعاد الصليبيين عن صفورية. لكن الصليبيين بقوا في مواقعهم رغم عقدهم مجلسًا للحرب. بعض الزعماء الصليبيين اقترحوا الزحف على قوات صلاح الدين في طبرية بدلاً من الدفاع عن صفورية.
- **تحرك الجيش الصليبي:** في الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة ٥٨٣هـ (٤ يوليو ١١٨٧م)، تحرك الجيش الصليبي نحو طبرية. إلا أنهم تعرضوا لحر شديد وعطش، بالإضافة إلى هجمات المسلمين المتواصلة، مما أثر سلبيًا على معنوياتهم.
- **معسكر الجيش الصليبي:** وصل الجيش الصليبي إلى الهضبة التي تعلو حطين، حيث اختاروا معسكرًا غير مناسب. استفاد صلاح الدين من هذا الخطأ وأعد خطة لتحريك الجيش المسلم للانقضاض عليهم.
- **ليلة حافلة بالصعوبات:** أمضى الصليبيون ليلة صعبة تحت تأثير اليأس، حيث كانت أصوات التكبيرات والصلاة من معسكر المسلمين تزعجهم، فضلاً عن اشتعال النيران في الحشائش التي زادت من معاناتهم.

- **الحصار:** في الليل، تحرك جيش صلاح الدين ليحاصر الجيش الصليبي، وعندما بدأ فجر اليوم التالي، كان الجيش الصليبي محاصرًا بالكامل ولم يعد يستطيع الهروب.
- **مناورة ريموند:** حاول ريموند صاحب طرابلس إيجاد ثغرة في الحصار، ولكن الأمير تقي الدين عمر ابن أخي صلاح الدين أعد له مكيده. حيث تظاهر بتراجع الجيش المسلم وأفسح له المجال للخروج، وعندما ابتعدت فرقة ريموند عن الجيش الصليبي، أغلق تقي الدين الدائرة مرة أخرى.
- **فشل محاولة ريموند:** حين أدرك ريموند أنه محاصر مرة أخرى، أسرع بالعودة إلى طرابلس ولكن كان قد فات الأوان.
- **الهجوم الحاسم:** بعد استنزاف القوى الصليبية، شن المسلمون هجومهم الحاسم على الجيش الصليبي، وقتل الكثير من فرسانهم، ونجا منهم القليل فقط. سقطت القوات الصليبية وانتصرت الجيوش الإسلامية. وتم أسر أعداد كبيرة من الجنود الصليبيين، بما في ذلك القادة البارزين مثل الملك جان دي لوزيتان، والبرنس أرنات، وغيرهم من قادة الفرنج.
- **استقبال الأسرى:** في خيمة السلطان صلاح الدين، تم استقبال الأسرى من القادة الصليبيين بكريم الضيافة. استقبل صلاح الدين الملك جان دي لوزيتان وأخاه، وكذلك أرنات وأسرى آخرين. رغم أن العرف العربي يقضي بتوفير الأمان للمأسورين عن طريق تقديم الطعام والشراب لهم، إلا أن صلاح الدين كان حريصًا على أن لا يفهم من تقديمه الماء لأرباط (أرنات) أنه قد أمنه. وعندما سقى أرباط الماء، أشار صلاح الدين للملك جان بأن أرباط هو من طلب الماء بنفسه، وليس هو من قدم له الأمان.
- **موقف صلاح الدين من أرنات:** في مواجهة أرنات، الذي كان قد ارتكب جرائم وحماقات ضد المسلمين، ذكره صلاح الدين بكلماته السابقة عندما قال عن القافلة المتجهة من مصر إلى الشام "قولوا لمحمدكم يخلصكم". وعندما رفض أرنات عرض الإسلام باستهزاء، أمر صلاح الدين بضرب رقبته بنفسه مستخدمًا خنجرًا مقوسًا. وعندما رأى الملك جان ذلك، ظن أن مصيره سيكون مشابهًا لمصير أرنات، لكن صلاح الدين طمأنه قائلاً له: "لم تجر عادة الملوك أن يقتلوا الملوك، وأما هذا فتجاوز حده فجرى عليه ما جرى".
- **الأسرى والتعامل معهم:** أمر صلاح الدين بعدم إيذاء الأسرى، وتم إرسالهم إلى دمشق حيث تم التعامل معهم برفق. وقد وصف ابن الأثير الوضع بقوله: "كان من يرى الأسرى لكثرتهم لا يظن أن هناك قتلى، وإذا رأى القتلى حسب أنه لم يكن هناك أسرى".
- **تدمير الجيش الصليبي:** كان انتصار المسلمين في حطين انتصارًا ساحقًا، إذ قضى الجيش الإسلامي على أكبر جيش صليبي. بعدها، توجه صلاح الدين بجيشه للاستيلاء على الحصون والقلاع الصليبية المنتشرة في المنطقة، مما مهد الطريق لاستعادة المزيد من الأراضي التي كانت تحت السيطرة الصليبية.

الاستيلاء على عكا:

1. اتجاه صلاح الدين نحو المدن الساحلية:

- بعد انتصاره في معركة حطين، توجه صلاح الدين نحو الاستيلاء على المدن الساحلية لضمان السيطرة على البحر وتأمين وصول الإمدادات الغذائية والبشرية من مصر إلى جيوشه في فلسطين. كانت عكا من أهم هذه المدن.
- 2. استسلام مدينة عكا:

- عندما وصل صلاح الدين إلى عكا، لم يفكر حاكمها جوسلين في مقاومة المسلمين، بل عرض تسليم المدينة مقابل الأمان على أرواح السكان وممتلكاتهم. وافق صلاح الدين على ذلك وأمن لهم سلامة أرواحهم وممتلكاتهم.
- دخل المسلمون المدينة بعد ذلك واستولوا على ما فيها من أموال وذخائر، كما استنقذوا الأسرى المسلمين الذين كانوا في المدينة وعددهم أربعة آلاف شخص.
- القاضي الفاضل قام بتحويل الكنيسة إلى جامع وأعد فيه المنبر والقبلة، وصلى المسلمون فيه أول صلاة جمعة بعد انتصارهم في عكا.
- صلاح الدين أقطع المدينة لولده الملك الأفضل نور الدين على، وأعطى ما فيها من أملاك الداوية للفتية عيسى الهكاري.
- 3. التوسع في المناطق المحيطة:

- خلال وجوده في عكا، أرسل صلاح الدين ألوية من جيشه لإخضاع مدن أخرى مثل الخليل ونابلس والناصرية وحيفا وصفورية، وقام بنهب الممتلكات وسبي النساء والأطفال.
- أرسل صلاح الدين ابن أخيه الملك المظفر تقي الدين عمر إلى تبينين لقطع الإمدادات عن صور ومدينة تبينين، كما أرسل ابن أخته الأمير حسام الدين بن لاجين إلى نابلس فاستولى عليها بعد حصار قلعتها.
- 4. الاستيلاء على بيروت وجبيل:

- في 22 من جمادى الأولى عام 583هـ (30 يوليو 1187م)، وصل صلاح الدين إلى بيروت وحاصرها لمدة 8 أيام، حتى طلب أهلها الأمان فوافق على تسليم المدينة. استولى المسلمون على بيروت في 29 من جمادى الأولى.
- أما بالنسبة لمدينة جبيل، فقد كان صاحبها من بين الأسرى الذين أرسلوا إلى دمشق بعد معركة حطين، وتفاوض مع نائب صلاح الدين في دمشق لإطلاق سراحه مقابل تسليم المدينة. بعد أن تم إطلاق سراحه، دخل صلاح الدين جبيل دون قتال.
- 5. منازلة عسقلان:

- بعد استيلاء صلاح الدين على المدن الساحلية، قرر مهاجمة عسقلان. في سبتمبر من نفس السنة، استسلمت المدينة بعد مفاوضات، وتم إطلاق سراح الملك جان دي لوزيتان ومقدم الداوية مقابل ذلك.

النتائج والاستراتيجية:

- بهذه الانتصارات المتتالية، تمكن صلاح الدين من تأمين الساحل الفلسطيني وفرض سيطرته على مناطق استراتيجية كانت ضرورية لتموين جيوشه. كما استفاد من سياسة الأمان لزيادة تأثيره على السكان المحليين وزيادة انضمامهم إلى قضيته.

استرداد بيت المقدس:

1. فشل المفاوضات وشروط صلاح الدين:

- في الوقت الذي دخلت فيه قوات صلاح الدين إلى عسقلان، وصل سفراء من أهالي بيت المقدس للتفاوض حول شروط الاستسلام. لكن المفاوضات فشلت، حيث رفض مندوبو المدينة تسليمها لأنهم اعتقدوا أن المسيح مات فيها. لذا، قرر صلاح الدين أن يستولي على المدينة بالقوة.
- كانت المدينة قد ازدادت بالسكان، بعد أن لجأ إليها العديد من المدنيين من المدن والقلاع الصليبية التي استولى عليها صلاح الدين. إلا أن معظم هؤلاء اللاجئين لم يكونوا قادرين على القتال. ولهذا، قام باليان، قائد الحامية الصليبية في القدس، بتجنيد كل صبي فوق سن الـ 16 من أبناء الطبقة النبيلة لتحسين المدينة.

2. حصار المدينة:

- بدأ صلاح الدين هجومه على القدس من خلال التوجه نحو المدينة المقدسة، التي كانت هدفه الأكبر في الجهاد ضد الصليبيين. وبدأت الهجمات الإسلامية على المدينة، لكنها لم تنجح بسبب المقاومة العنيفة وحرارة الشمس، مما أدى إلى أن الحصار استمر لمدة خمسة أيام دون نتائج ملموسة.
- ثم نقل صلاح الدين معسكره ليعسكر فوق جبل الزيتون الذي يطل على المدينة، ما جعل المدافعين يظنون أن الحصار قد رفع. لكن الهجوم استؤنف بقوة جديدة.

3. طلب تسليم المدينة:

- أدرك الصليبيون أن مقاومتهم لا تجدي نفعًا، فذهب قائدهم باليان إلى معسكر صلاح الدين لطلب تسليم المدينة. وأجاب صلاح الدين بعرض شروطه التي تتضمن دفع فدية مقابل أرواح الصليبيين في المدينة.

4. شروط صلاح الدين:

- كانت شروط صلاح الدين لتسليم بيت المقدس كالتالي:
- دفع فدية عن كل رجل بمعدل 10 دنانير، وعن كل امرأة 5 دنانير، وعن كل طفل 2 دينار، على أن يتم دفع الفدية خلال أربعين يومًا. وإذا لم يتم دفعها، يحق للمسلمين أسر من لم يدفع.
- سمح صلاح الدين للمسيحيين الشرقيين من أهل الشام أو اليونانيين بالبقاء في المدينة.
- سمح أيضًا للبطريرك بالخروج من المدينة ومعه أمواله وذخائره، لكن دفع 10 دنانير فقط كفدية له.

5. دخول صلاح الدين إلى المدينة:

- دخل صلاح الدين مدينة بيت المقدس في 27 رجب 583 هـ (2 أكتوبر 1187م). ولم يُصب أي مدني مسلم بأذى، كما لم يتم نهب أي من المباني. وقد أمر صلاح الدين الدوريات الإسلامية بحراسة المدينة ومنع أي اعتداء على المسيحيين.

6. تحرير المدينة المقدسة:

- استرداد بيت المقدس من الصليبيين جاء بعد تسعين عامًا من احتلالهم للمدينة. كانت المدينة قد سقطت في يد الصليبيين في 20 شعبان 493 هـ (14 يونيو 1099م).

7. الفلول الصليبية في صور:

- لم يكن استرداد بيت المقدس نهاية المواجهة، حيث تجمع بعض الصليبيين في مدينة صور، التي كانت قد اكتظت بالفعل بسكانها. سمح فقط لمن كان قادرًا على القتال بالدخول إلى المدينة. أما البقية من العزل الذين أطلق صلاح الدين سراحهم دون فدية، فكان مصيرهم بئسًا، حيث أغلق حاكم صور أبواب المدينة في وجههم، مما أدى إلى حالة من الاضطراب بين الفارين.

مدينة صور:

استمرار فتوحاته:

1. حرص صلاح الدين على تسوية الأمور بسلمية:

- حرص صلاح الدين على إتمام فتوحاته بشكل استراتيجي. فكان يُجيز للحاميات الصليبية التي تدافع عن المواقع الصليبية الخروج بأمان إذا سلمت المدن التي تدافع عنها. وكان هذا يشمل السماح للمدن الصليبية التي استسلمت دون قتال بالخروج بأمان والرحيل إلى مدينة صور.

2. حصار مدينة صور:

- في يوم الجمعة 9 رمضان 583 هـ (12 نوفمبر 1187م)، نزل صلاح الدين على مدينة صور وأقام معسكره بالقرب من أسوارها. كانت المدينة محصنة بدرجة كبيرة، فظل صلاح الدين في معسكره لمدة 13 يومًا، حتى شدد الحصار عليها.
- تمكن الصليبيون من الاستيلاء على خمسة شواني للمسلمين مما أثر سلبيًا على معنويات الجيش الإسلامي، وزاد ذلك من عزيمة الصليبيين، مما دفعهم للخروج من صور لتلقي الدعم. أسفرت المواجهات عن أسر وقتل عدد من القادة الصليبيين.

3. الرحيل من صور والتوجه إلى عكا:

- رغم هذه التقدمات، قرر صلاح الدين عدم مواصلة الحصار الطويل على بيروت بسبب الظروف الصعبة التي كان يواجهها جيشه من البرد الشديد وقلة الإمدادات. فقرر الرحيل بعد إشارة من الجند، وحمل بعض الأثقال إلى صيدا وبيروت وأحرق الباقي لمنع الصليبيين من الاستفادة منها.
- توجه صلاح الدين إلى عكا بعد ذلك، حيث اعتبر بعض المؤرخين أن قرار صلاح الدين بعدم استكمال الحصار كان خطأً استراتيجيًا.

4. الخطأ الاستراتيجي في السماح للصليبيين بالرحيل إلى صور:

- يرى البعض أن صلاح الدين ارتكب خطأ كبيرًا عندما سمح للصليبيين بالرحيل إلى صور، حيث كانت المدينة بمثابة نقطة انطلاق لحملة صليبية ثالثة ضد المسلمين. تجمع الصليبيون في صور شكلوا تهديدًا قويًا للمسلمين.
- صلاح الدين كان يعتقد أن الحصون الساحلية من السهل حصارها، لكن الفرنج تمكنوا من تقوية وضعهم في صور، ما أدى إلى عودة الخطر على المسلمين.

5. النقد الاستراتيجي لتصرف صلاح الدين:

- كان من الأفضل لصلاح الدين أن يبقي الصليبيين في المدن المفتوحة أسرى حرب أو يفرض عليهم التوجه إلى مدينة داخلية بعيدة عن الساحل تحت مراقبة مشددة لمنعهم من الاتصال بالصليبيين في أوروبا.

- هذا كان سيسهم في إضعاف القوة الصليبية ويمنع تكديسهم في مدينة صور، التي أصبحت مصدرًا للخطر على المسلمين.
6. النتائج النهائية:

- على الرغم من قرار صلاح الدين بالسماح للصليبيين بالاستقرار في صور، فإن المدينة وحصونها ظلت نقطة تجمع أساسية للصليبيين، إلى جانب طرابلس وإنطاكية في الشمال وبعض القلاع المتناثرة التي ظلت في أيديهم.

الفصل الثاني

الحملة الصليبية الثالثة ١١٩٠م

الحملة الصليبية الثالثة وتأثير سقوط بيت المقدس:

1. أثر سقوط بيت المقدس على أوروبا:

- كان لسقوط بيت المقدس في أيدي المسلمين بقيادة صلاح الدين أثر كبير في تحفيز أوروبا لإعادة تنظيم حملات صليبية جديدة. فقد خرج بطريرك بيت المقدس، الذي سمح له صلاح الدين بالخروج آمناً، ليطوف في أوروبا ويعرض صورة عربية تُظهر المسيح مُضطَّهَدًا، مما أثار حماسة الأوروبيين للانتقام من المسلمين.
- تبنى رئيس أساقفة صور، **جو سياس**، الدعوة إلى شن حرب صليبية جديدة ضد المسلمين، وقد لاقت استجابة من **ويليام الثاني**، ملك صقلية النورماني، الذي أرسل أسطولاً يحمل بضعة مئات من الفرسان إلى طرابلس.

2. الدور الديني والسياسي في الحملة الصليبية:

- رغم أن البابا **جريجوري الثامن** كان يستحث زعماء أوروبا على إرسال حملة صليبية، إلا أن الدافع الأساسي لم يكن دينياً بقدر ما كان سياسياً. فالعوامل السياسية كانت هي المحرك الرئيسي لهذه الحملة.
- في هذه الأثناء، بدأت التحركات السياسية والعسكرية للإعداد للحملة الصليبية الثالثة، التي استمرت لمدة سنتين ونصف.

3. شخصيات الحملة الصليبية الثالثة:

- **كونرادي مونتفرات**، الذي كان قد هرب من القسطنطينية بعد تورطه في جريمة قتل، أصبح قائداً لحركة المقاومة في بلاد الشام. توجه إلى **عكا**، إلا أنه وجد المسلمين قد استولوا عليها، فانتقل إلى **صور**.
- وصول **كونرادي مونتفرات** إلى صور كان بمثابة نقطة تحول في تحفيز الصليبيين على الاعتراف به كزعيم لهم مقابل الدفاع عن مدينتهم.

4. تنظيم الحملة الصليبية الثالثة:

- بعد نجاح **سفارة جوسياس** التي كانت قد أرسلت إلى أوروبا، بدأ تجمع حشود ضخمة من الصليبيين، الذين كان من بينهم نساء، حيث خرجن للقتال أو استعانوا بالرجال للقتال نيابة عنهن.
- تم تشكيل الحملة الصليبية الثالثة بشكل رسمي، حيث كان يقودها **ثلاثة من كبار ملوك أوروبا** في تلك الفترة:

■ **فريدريك بربروسا**، إمبراطور الدولة الرومانية وملك ألمانيا.

■ ريتشارد قلب الأسد، ملك إنجلترا.

■ فيليب أغسطس، ملك فرنسا.

5. المراحل المختلفة للحملة الصليبية الثالثة:

- تحركت قوات الإمبراطور الألماني فريديك بربروسا، التي بلغ عددها حوالي 100,000 مقاتل، عبر الطريق البري الذي سلكته قوات الحملة الصليبية الأولى. وقد تم ذلك بناءً على معاهدات اتفاقية عقدها فريديك مع حكام المجر وبيزنطة وآسيا الصغرى.
- استمرت الحملة في مراحلها المختلفة وتوجهت نحو الشام على عدة مسارات.

التأثير العسكري والديني لهذه الحملة:

- مع استمرار الحشد الصليبي والمشاركة الواسعة من قبل الأوروبيين، بما في ذلك التمويل والجنود والفرسان، كانت الحملة الصليبية الثالثة تهدف إلى استعادة الأراضي التي فقدتها الصليبيون في الشام، وعلى رأسها القدس.
- سير الجيش الألماني:

- بعد وفاة فريديك بربروسا، قاد ابن فريديك ما تبقى من جيش أبيه من إنطاكية باتجاه عكا عبر طريق اللاذقية.

- وصل إلى عكا مع حوالي خمسة آلاف جندي فقط في رمضان 586 هـ / أكتوبر 1190 م.

- ركب البحر من طرابلس إلى عكا.

● وصول الجيوش الصليبية:

- جيش فيليب أغسطس الفرنسي و ريتشارد قلب الأسد الإنجليزي وصلوا إلى عكا بعد ابن فريديك.
- فيليب أغسطس أبحر من صقلية بأسطول صغير من ست بواخر كبيرة.
- ريتشارد قلب الأسد أبحر من صقلية إلى قبرص، حيث كان يحكمها إسحق أمير يوناني مستقل.
- استقبل إسحق ريتشارد عدائياً، فطلب ريتشارد الإمدادات، ثم تمكن من الاستيلاء على قبرص بعد خيانة إسحق.

- قبرص أصبحت قاعدة رئيسية للصليبيين.

● بداية الحملة الصليبية الثالثة:

- ريتشارد وصل ساحل عكا بعد شهرين من وصول الجيش الفرنسي بقيادة فيليب أغسطس.

- عكا كانت محور الصراع في الحملة الصليبية الثالثة، التي استمرت عامين.

● تحرك صلاح الدين:

- بدأ صلاح الدين بتجميع قواته من بلاد الشام بعد وصول الجيوش الصليبية.

- قاد بنفسه جيشاً كبيراً للمشاركة في المعركة.

● المعركة التمهيدية أمام أسوار عكا:

- حدثت معركة تمهيدية بين المسلمين و الصليبيين أمام أسوار عكا.

- المسلمون حققوا نصراً جزئياً ولكن لم يكن نصراً حاسماً.

● الحصار على عكا:

- استمر الحصار أمام أسوار عكا بين المسلمين و الفرنج، حيث استخدم صلاح الدين كل الوسائل الممكنة لإيصال الإمدادات إلى أهل المدينة.
- في ربيع 587 هـ / 1191 م، بدأت عكا تضعف بشكل واضح أمام الحصار، وأظهر أهلها الوهن في نفوسهم.
- روح الفرنج ارتفعت مع وصول فيليب أغسطس و ريتشارد قلب الأسد، وزيادة أعدادهم برا وبحرا.
- السفن المصرية لم تتمكن من توصيل الإمدادات، وأغرق بحارة إحدى البواخر المصرية 700 بحار بعد محاولتها الوصول، مما أفقد الأمل في إنقاذ المدينة.

● مفاوضات الاستسلام:

- علي بن أحمد الهكاري أمير عكا، المعروف بالمشطوب، لم يتمكن من الصمود أمام الحصار، خصوصاً بعد أن تم نقب أسوار المدينة ودخول الفرنج عبر هذه النقوب.
- بدأ التفاوض بين علي بن أحمد و رؤساء الفرنج وتم الاتفاق على شروط للاستسلام:

 1. تسليم المدينة للفرنج بما تحويه من أسلحة وآلات.
 2. دفع 200,000 دينار ذهب فدية لأسرى المسلمين.
 3. إطلاق سراح 1,500 فارس من الفرنج و 100 فارس معروفين بالأسماء.
 4. رد صليب الصليبوت للفرنج.
 5. دفع 14,000 دينار للمركيس صاحب صور.
 6. خروج المسلمين من المدينة سالمين.

● التنفيذ والنتائج:

- تم تسليم المدينة في 17 جمادى 587 هـ / 12 يوليو 1191 م بعد مقاومة عنيفة استمرت نحو ثلاث سنوات.
- صلاح الدين شعر بحزن شديد لسقوط المدينة.
- الحنث بالعهود من الفرنج:

- الفرنج خالفوا العهود، حيث رفضوا تسليم أسرى المسلمين إلا بعد أخذ الفدية بالكامل.
- عندما عرض المسلمون دفع نصف الفدية مقدما و النصف الآخر بعد الإفراج عن الأسرى، أصر الفرنج على موقفهم.
- شك المسلمون في نوايا الفرنج، حيث اعتقدوا أنهم يريدون المال لتقوية أنفسهم، بينما يطلقون الفقراء من الأسرى ويحتفظون بكبار رجال المسلمين للمطالبة بفدية أخرى.

● رد فعل صلاح الدين:

- صلاح الدين رفض دفع المال بهذه الطريقة، مما أدى إلى انتقام ريتشارد قلب الأسد بقتل 3,000 أسير من المسلمين الفقراء.
- هذا التصرف الوحشي دفع صلاح الدين إلى استئناف القتال من جديد.

نتائج سقوط عكا:

1. رفع معنويات الفرنج:

- كان لانتصار الفرنج في عكا أثر كبير في رفع معنوياتهم بعد هزيمتهم في معركة حطين.
- 2. هبوط الروح المعنوية لدى المسلمين:
- تسبب سقوط عكا في هبوط الروح المعنوية لدى المسلمين، حيث تراجعت عزائمهم وتوالت هزائمهم بعد هذا الحدث.
- 3. تحول عكا إلى قاعدة بحرية هامة للفرنج:
- أصبحت عكا أهم قاعدة بحرية للفرنج في الشام، كما أصبحت المركز الرئيسي لإمداد القوات الصليبية بالعتاد والموارد.
- 4. عودة فرسان الاسبتارية:
- قام الصليبيون بإعادة فرسان الاسبتارية إلى عكا للدفاع عنها.

الموقف بعد سقوط عكا

1. نزاع بين الفرنج:

- بدأ نزاع بين الفرنج بعد سقوط عكا، حيث اشتدت رغبة فيليب أغسطس في العودة إلى فرنسا.
- شعور فيليب بالإهانة من ريتشارد قلب الأسد بسبب شهرة ريتشارد التي طغت على شهرة الآخرين، بالإضافة إلى مصالحه في فرنسا، دفعه إلى الرحيل عن الحملة.
- فيليب غادر صور ثم برنديزي بعد ثلاثة أيام، مما جعل ريتشارد قلب الأسد يتولى قيادة الحملة.
- 2. تحركات صلاح الدين بعد سقوط عكا:
- اتخذ صلاح الدين معسكره في تلال سفرعم التي تسيطر على طريقين هامين:
- 1. الطريق الأول إلى طبرية ودمشق.
- 2. الطريق الثاني إلى الناصرة وبيت المقدس.
- صلاح الدين قرر هدم الحصون الساحلية مثل حسن الرملة وحصون عسقلان بعد أن قرر ريتشارد مهاجمة عسقلان ويافا، واتخذ من عسقلان نقطة انطلاق لمهاجمة بيت المقدس.
- صلاح الدين ركز على الدفاع عن بيت المقدس، حيث قام بتحصين المدينة، بناء أسوارها، وحفر الخنادق بمشاركة أولاده وعساكره وقضاته والصوفية.
- 3. تحركات ريتشارد بعد سقوط عكا:
- ريتشارد استولى على أرسوف في ٥٨٧هـ / ١١٩١م بعد أن ألحق هزيمة نكراء بالمسلمين الذين انسحبوا إلى الداخل للدفاع عن بيت المقدس.
- في طريقه إلى يافا، واجه مقاومة ضارية من المسلمين، حتى كاد يُؤسر، لكنه تمكن من الفرار وواصل التقدم جنوباً.

- ريتشارد وصل بالقرب من الحدود المصرية، لكنه تلقى أخباراً عن محاولة أخيه اغتصاب الملكة بتحريض من ملك فرنسا.
- 4. استعدادات المسلمين:

- المسلمون بدأوا يستعدون للقاء الفرنج، حيث استعدوا قواهم وأحرزوا بعض الانتصارات.
- ريتشارد أدرك أنه لا يمكنه الانتصار على المسلمين داخل بلادهم، وأن المعركة ستكون صعبة إذا استمر في حملته.

الأسباب التي أدت إلى تراجع ريتشارد عن مواصلة زحفه إلى بيت المقدس:

1. نصيحة فرسان الداوية والاسبتارية والياروقات:

- نصح فرسان الداوية والاسبتارية والياروقات ريتشارد قلب الأسد بعدم الهجوم على بيت المقدس لأن ذلك قد يعرضه للوقوع في فخ جيش صلاح الدين.
- هذا التحذير جعله يدرك أنه من الأفضل التراجع بدلاً من مواجهة خطر كبير.
- 2. الارتداد إلى الرملة وعسقلان:

- قرر ريتشارد ورجاله التراجع إلى الرملة بعد خوض معركة عسيرة، ثم انتقلوا إلى عسقلان التي كانت قد خربها صلاح الدين.
- في عسقلان، قضى ريتشارد أربعة شهور، حيث عمل على تحصين عسقلان لتصبح من أقوى الحصون على ساحل فلسطين.
- 3. التفاوض مع صلاح الدين:

- بعد ذلك، قرر ريتشارد التفاوض مع صلاح الدين في صلح لتجنب المزيد من الخسائر في الأرواح.
- أرسل ريتشارد رسالة إلى صلاح الدين قال فيها: "قد أهلكنا نحن وأنتم، والأصلح أن نحقق الدماء...". وأوضح أنه لا يطلب الصلح من ضعف بل من أجل المصلحة.
- 4. رد صلاح الدين:

- استشار صلاح الدين أمراءه وقواد جيشه فوافقوا على الصلح مع ريتشارد.
- أرسل صلاح الدين بدوره إلى ريتشارد قائلاً: "إنك إذا دخلت معنا في هذا الأمر فما جزاء الإحسان إلا الإحسان...".

صلح الرملة (٢ سبتمبر ١١٩٢م):

1. شروط الصلح:

- الفرنج يحتفظون بمنطقة الساحل من عكا إلى يافا.
- صلاح الدين يحتفظ بـ عسقلان وبقية الأراضي الجنوبية.
- السماح للحجاج الصليبيين بزيارة بيت المقدس.
- صلاح الدين اشترط إدخال الإسماعيلية (الباطنية) في الصلح.

- الصلح ينعقد لمدة ثلاث سنوات وثلاثة أشهر.
- دخول صاحب إنطاكية وطرابلس في الصلح.

2. النتائج المترتبة على الصلح:

- قبل صلح الرملة بارتياح من الجانبين بعد حرب طويلة لم تنته بنتيجة حاسمة.
- أصبح الطريق إلى الحجاز مفتوحاً أمام المسلمين، بينما أصبح الطريق إلى بيت المقدس مفتوحاً أمام المسيحيين.
- عند إعلان الصلح، كانت الفرحة تعم الطائفتين بعد صراع طويل.

3. عودة ريتشارد إلى بلاده:

- عاد ريتشارد إلى إنجلترا في أكتوبر ١١٩٢م بعد الصلح.
- عند عودته، تعرض للاعتقال من قبل هنري السادس ملك ألمانيا أثناء محاولته المرور عبر ألمانيا، حيث تم حبسه حتى دفع فدية.

حصار الحملة الصليبية الثالثة:

- الحملة الصليبية الثالثة كانت خيبة أمل كبيرة للأوروبيين والفرنج في الشرق.
- الآمال التي كانت معلقة على الحملة تحولت إلى يأس واتهامات حادة للزعماء الصليبيين بسبب النتائج الهزيلة التي حققتها الحملة مقارنة بالفترة الطويلة التي استعدوا فيها.

الفصل الثالث

الحملة الصليبية السابعة (٦٤٦ هـ / ١٢٤٨م) حملة لويس التاسع على مصر :

استرداد القدس والحملة الصليبية الجديدة:

1. استرداد القدس على يد الصالح نجم الدين أيوب (١٢٤٤م):

- كان لاسترداد القدس من قبل الصالح نجم الدين أيوب في سنة ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤م وقع قوي في أوروبا، مشابه لذلك الذي حدث عندما استردها صلاح الدين الأيوبي.
- هذا الانتصار أشعل الدعوة من جديد لحملة صليبية كبرى لاسترجاع القدس من أيدي المسلمين، وكان الملك لويس التاسع ملك فرنسا من أكبر المتحمسين لهذه الحملة.

2. خلافات البابا مع الإمبراطور فردريك الثاني:

- حاول الملك لويس التاسع إصلاح الخلافات بين البابا إنوسنت الرابع والإمبراطور فردريك الثاني، لكن لم ينجح في مهمته.
- في ذات الوقت، البابا دعا إلى مجمع ليون الذي تقرر فيه إرسال الحملة إلى مصر في سنة ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥م.
- في هذا المجمع، تم اتخاذ قرار بإرسال حملة صليبية ضد فردريك الثاني بسبب خلافه مع الكنيسة، وهو ما أسهم في توثيق العلاقات بين فردريك الثاني والصالح نجم الدين أيوب.

3. هدف الحملة الصليبية الكبرى:

- الحملة الصليبية لم تكن تهدف فقط إلى استرجاع بيت المقدس، بل كانت تهدف أيضاً إلى تكوين حلف بين المغول والصليبيين ضد الدولة الأيوبية في مصر والشام.
- كان الهدف من هذا الحلف أن يتم مهاجمة المنطقة العربية الإسلامية من شواطئ البحر المتوسط عبر الحملة الصليبية، ومن الشرق عبر القوات المغولية.
- التصور الأوروبي كان يعتقد أن هذا الهجوم الثنائي قد يؤدي إلى القضاء على الإسلام في المنطقة ومساعدة في انتشار المسيحية.

4. التداعيات:

- كان هذا التحالف بين الصليبيين والمغول يمثل تهديداً قوياً للدولة الأيوبية التي كانت تخوض معركة صعبة ضد أطماع الغرب والمغول.
- الصالح نجم الدين أيوب كان في هذه الفترة في وضع معقد، حيث كان يحاول تأمين جبهته في الشام ومصر لمواجهة التهديدات المتزايدة من القوى المسيحية والمغولية.

الاستعداد للحملة:

استعدادات لويس التاسع للحملة الصليبية:

1. التحضيرات الأولية:

- استغرقت استعدادات لويس التاسع للحملة ثلاث سنوات، حيث بدأ بعقد مجمع كبير في باريس.
- في المجمع، خطب لويس التاسع في الحاضرين، داعياً إياهم إلى حمل الصليب، وقد تمكن بلباقته من إثارة غيرتهم الدينية ودفعهم للانضمام إلى الحملة.

2. مشاكل في توافر السفن:

- لم تكن البحرية الفرنسية تملك من السفن ما يكفي لنقل حملة حربية كبيرة عبر البحر المتوسط.
- لذلك، طلب لويس التاسع من جمهورية جنوا و مدينة مرسيليا تأجير السفن لذلك الغرض، وعقد معهما اتفاقيات خاصة.
- البندقية رفضت تزويده بما يحتاجه من سفن خوفاً على مصالحها التجارية مع مصر و الشام.

3. إعداد المون والإمدادات:

- أرسل لويس التاسع إلى جزيرة قبرص مجموعة من رجاله لشراء وإعداد ما يحتاجه الجيش من الأطعمة والمون استعداداً للمرور بالجزيرة، والتي كانت قاعدة تلنقي عندها الجيوش الصليبية المتجهة إلى الشرق.

4. رحيل الحملة:

- في ٤ جمادى الأولى سنة ٦٤٦هـ / ٢٥ أغسطس سنة ١٢٤٨م، رحل لويس التاسع قاصداً مصر، حيث أبحر من ميناء مرسيليا.
- كان الأسطول ضخماً ويزيد عن ١٨٠٠ سفينة تحمل ثمانية آلاف مقاتل مع عدتهم، أسلحتهم، مؤنهم وخيولهم.

- كان لويس التاسع يقود الحملة بنفسه، ورافقه زوجته الملكة مرجريت وأخواه شارل كونت انجو و روبرت كونت ارتوا.
- أما شقيقه الثالث، ألفونسو كونت بواتيه، فقد بقي في فرنسا لبعض الوقت لجمع الإمدادات والنجادات، ليُلاحق بالجيش في وقت لاحق.
- 5. صفات لويس التاسع:

- كان لويس التاسع يتمتع بصفات شجاعة، قوة، فداء، وصمود، مما جعله يحظى بشعبية كبيرة.
- كما كان مخلصاً لهدفه في استعادة القدس، حتى أطلق عليه لقب "القدّيس".
- على الرغم من هذه الصفات، افتقد إلى بعد النظر وسلامة التقدير العسكري في العديد من المواقف، وقد استمع كثيراً إلى توجيهات أخيه، مما أدى إلى بعض الاعتراضات من قادة الحملة على بعض تصرفاته.

خط سير الحملة

- ظل الملك لويس التاسع في المدينة لمدة ستة أشهر ينتظر وصول بقية سفنه التي جنحت بسبب الرياح إلى شاطئ سوريا.
- فترة الانتظار الطويلة أدت إلى نتائج سلبية في المعسكر الصليبي ولكن كانت لها نتائج إيجابية في المعسكر المصري.
- المصريون تمكنوا من البقاء خلف تحصيناتهم القوية وبدأوا بالتحرك نحو الهجوم.
- العمليات العسكرية بين المسلمين والصليبيين خلال هذه الفترة كانت أقرب إلى العمليات الفدائية.
- شارك في هذه العمليات أبناء الشعب المصري من جميع الفئات، بالإضافة إلى المتطوعين من المسلمين والقوات الأيوبية القادمة من الشام.
- كانت الجنود المسلمون يعودون يومياً بعدد من الأسرى الصليبيين ويقومون بتسليمهم للسلطان.
- كان الأسرى يسبرون في موكب في الشوارع مما يرفع الحماسة ويزيد من أعداد المتطوعين.
- قدمت الشواي المصري بالعدد الكامل من الرجال وبدأت في نصب الكمائن للسفن الصليبية التي تنقل المؤن والإمدادات.
- الشواي كانت تستولي على هذه السفن أو تدمرها.
- بدأ لويس التاسع بالاستعداد للتحرك من دمياط بعد وصول أخيه، ألفونسو كونت بواتيه.
- تم عقد مجلس حرب لتحديد خطة الزحف نحو القاهرة.
- حدث انقسام حاد في الرأي بخصوص الخطة.
- بطرس كونت بريتاني ومعه غالبية البارونات وقادة الجيش اقترحوا المسير نحو الإسكندرية أولاً ثم إلى القاهرة.
- الكونت أرتو أخو الملك لويس رفض هذا الاقتراح واقترح السير مباشرة نحو القاهرة، مشيراً إلى أن سقوط القاهرة سيؤدي إلى سقوط باقي المدن المصرية.
- انضم لويس التاسع إلى رأي أخيه الكونت أرتو وقرروا المسير مباشرة نحو القاهرة.
- الرأي الأول في خطة الزحف:
- ميناء الإسكندرية أكبر من ميناء دمياط، ويمكنه استيعاب عدد أكبر من السفن الصليبية.
- الإسكندرية أقرب إلى أوروبا وموانئ فرنسا، مما يسهل حصول الصليبيين على الإمدادات بسرعة.
- استجابة الملك لويس:

- وافق الملك لويس على هذا الرأي، رغم أن الحملة الصليبية الخامسة وحملة حنا دي بين قد فشلت من قبل، مما جعل هذا القرار يشكل تهديدًا جديدًا ينتهي بفشل الحملة.
- وفاة السلطان الصالح نجم الدين أيوب:
 - توفي السلطان الأيوبي في المنصورة قبل أن يبدأ لويس التاسع زحفه نحو القاهرة.
 - بقيت حامية صليبية كبيرة في دمياط، كما بقيت زوجة لويس التاسع، الملكة مارجريت.
 - أهمية وفاة السلطان في هذا الوقت:
 - توفي السلطان في وقت عصيب، حيث كانت الأمة بحاجة ماسة إليه.
 - وصفه المؤرخ أبو المحاسن بأنه كان مهيبًا، عزيز النفس، طاهر اللسان، شديد الوقار.
 - ترتيبات السلطان قبل وفاته:
 - عهد السلطان بالسلطنة لابنه المعظم تورانشاه، وهو شاب قليل الخبرة.
 - رتبت زوجته شجر الدر كل أمور الحكم أثناء مرضه، حيث عينت الأمير حسام بن أبي علي الهذباني نائبًا للسلطنة والأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ قائدًا عامًا بالمنصورة.
 - تكتيم خبر الوفاة:
 - أخفت شجر الدر خبر وفاة السلطان عن الدولة والناس، وأعلنت أن الأطباء منعوا الزيارة عنه.
 - الخبر وصل فقط إلى الأمير فخر الدين قائد الجيوش والطواشي جمال الدين مسحن، الذين كتموا الخبر حتى وصول تورانشاه من حصن حيفا.
 - ترتيبات الدفن:
 - تم إرسال جثمان السلطان في تابوت على ظهر سفينة ليلاً إلى قلعة الروض حيث دفن.
 - استمرت الأوامر السلطانية بالصدور من المعسكر السلطاني بتوقيع السلطان، وكانت الأمور تجري كالمعتاد.
 - تبريرات شجر الدر:
 - كانت شجر الدر تبرر غياب السلطان عن الاجتماعات بقولها إنه مريض ولا أحد يمكنه الوصول إليه.
 - رغم اتخاذ كافة الاحتياطات لإخفاء خبر وفاة السلطان الصالح أيوب، تسرب الخبر إلى الفرنسيين أثناء تقدمهم نحو القاهرة.
 - الفرنسيون اتخذوا الطريق على الضفة الشرقية لفرع دمياط بمحاذاة النيل، وواصلوا السير حتى وصلوا إلى نقطة تفرع بحر أشموم من فرع دمياط.
 - وصلوا إلى قرية فارسكور يوم الخميس ٢٤ شعبان سنة ٦٤٧هـ / ١٢ ديسمبر سنة ١٢٤٩م، دون أن يواجهوا مقاومة عسكرية تذكر، لكنهم تعرضوا لصعوبات في الزحف بسبب المستنقعات والأحوال الصعبة في شمال الدلتا.
 - وصلت قوات الفرنج إلى المنصورة وعسكروا شمالي بحر أشموم طنّاح، ليصبح البحر حاجزًا بين معسكرهم ومعسكر المسلمين.

- تحصن الفرنج في معسكرهم بحفر خندق، وبناء سور، ونصب المجانيق، بينما كان المسلمون مطمئنين لحصانة مدينتهم وبدأوا في مناوشات مع الفرنج واختطافهم.
- فكر لويس التاسع في بناء جسر لعبور بحر أشموم طناح لملاقاة المسلمين، لكنهم واجهوا صعوبة في بناء الجسر بسبب قذائف المسلمين.
- مع محاولات بناء الجسر، كانت قذائف المسلمين تدمر الجزء الذي بينه الفرنج، مما اضطرهم إلى بناء برجين مشحونين بالمقاتلين ورماة السهام.
- المصريون تمكنوا من تعطيل محاولات الفرنسيين في بناء الجسر، حيث كانوا يهدمون ما ينجزونه، مما زاد من صعوبة عبور المجري.
- استدعى الملك لويس التاسع بارونات الجيش وقادته لعقد مجلس حربي لمناقشة خطة جديدة بعد فشل محاولة بناء جسر لعبور بحر أشموم طناح بسبب قذائف المسلمين وتوسع المجري.
- خلال المناقشات، وصل إلى المعسكر الصليبي أحد البدو الخائنين الذي دلهم على مخاضة سلمون في بحر أشموم طناح، وهي نقطة قريبة من المعسكر الصليبي.
- استقر الرأي على عبور مخاضة سلمون فجر يوم الثلاثاء ٤ ذي القعدة سنة ٦٤٧هـ / ٨ فبراير سنة ١٢٥٠م، على أن يعبر الملك لويس التاسع وأخوته والفرسان في ثلاث وحدات كبرى.
- تم إصدار تعليمات مشددة بعدم تحرك مقدمة الجيش الصليبي بعد عبور مخاضة سلمون إلا بعد وصول تعليمات جديدة من الملك لويس.
- مع عبور القوات الصليبية، داهمت معسكر المسلمين فجأة، وسقط الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ جريحاً، مما أحدث ارتباكاً في الجيش الأيوبي.
- استولى الصليبيون على معسكر المسلمين في قرية جديلة، وقرر الكونت آرتو اقتحام مدينة المنصورة، فأصدر أوامره بالدخول إليها.
- الأمير بيبرس البندقداري، الذي أصبح السلطان بيبرس لاحقاً، أعد خطة محكمة لملاقاة الصليبيين في المنصورة، وقد وافقت شجرة الدر على الخطة.
- الخطة تضمنت تقسيم الجيش الأيوبي إلى ثلاثة أقسام:
 - الأول: جبهة من الفرسان بلغت عدتها أربعة آلاف.
 - الثاني: المشاة والمرافق.
 - الثالث: قوات احتياطية هائلة للمساعدة عند الضرورة.
- الجيش الصليبي كان منظمًا على أساس ميمنة وقلب وميسرة:
 - في الميمنة: أخو لويس، شارل كونت انجلو.

- في القلب: الملك لويس.
- في الميسرة: الفونسو كونت بواتيه.
- دخل فرسان الصليبيين المدينة المنصورة، وهم في حالة من الزهو والخيلاء، يتجولون في شوارعها الخالية بحثًا عن الغنائم والأسلاب.
- بينما كانوا مشغولين بالغنائم، شن المماليك البحرية وأهل المنصورة هجومًا عنيفًا على الفرنج، مما زلزل صفوفهم وأزاحهم عن باب القصر.
- وضع الأهالي المتاريس الخشبية والحجرية والطينية في الشوارع لعرقلة الفرسان الصليبيين، وقذفوهم بقذائف منزلية من فوق الأسطح والنوافذ والشرفات.
- أسفرت المعركة عن مقتل نحو ألف وخمسمائة من الفرنج، ودمر المماليك فرقة الفرسان بأكملها، وكان الكونت آرتو من بين القتلى.
- بفضل قيادة بيبس وفرسانه، عاد الجيشان إلى المواقع السابقة على بحر أشموم طنّاح، حيث تفصل بينهما.
- بعد المعركة، وصل الملك المعظم تورانشاه بن الصالح نجم الدين أيوب إلى مصر في ١٥ ذي القعدة سنة ٦٤٧ هـ / ٢٧ فبراير سنة ١٢٥٠ م، ونزل في الصالحية، ثم انتقل إلى المنصورة حيث استقبلته القوات المملوكية.
- تم الإعلان رسميًا عن وفاة السلطان الصالح نجم الدين أيوب، وسلّمت شجرة الدر مقاليد الأمور للسلطان الشاب، الذي تولى قيادة الجيوش ووضع خطة لإجبار الصليبيين على التسليم.
- أمر السلطان الشاب بحمل سفن مفككة على ظهور الجمال لتفكيكها وتركيبها في بحر المحلة وراء معسكر الفرنج، وقد تم شحن هذه السفن بالمقاتلين لقطع طريق الإمدادات الصليبية القادمة من دمياط.
- شنت السفن هجومًا على الأسطول الصليبي، وأسرت عددًا من سفنه، مما أدى إلى تدهور الحالة الصليبية.
- ازداد الغلاء بين صفوف الصليبيين، فبدأوا في مراسلة الملك المعظم تورانشاه يطلبون الهدنة، وعرضوا تسليم دمياط مقابل الحصول على مدينة القدس وبعض المدن الساحلية.
- رفض المسلمون هذه الشروط وفضلوا الاستمرار في الحرب، وفي فارسكور دارت معركة عنيفة انتهت بكارثة على الصليبيين، حيث تم القضاء على الجيش الصليبي بشكل كامل.
- أسفرت المعركة عن مقتل نحو عشرة آلاف من الفرنج، وغنم المسلمون العديد من الخيل والبغال والأموال التي لا تُحصى.
- بعد الهزيمة، فرّ لويس التاسع مع عدد من قادة جيشه إلى قرية منية أبي عبد الله (التي تعرف اليوم بميت الخولي عبد الله)، حيث تم أسر الملك لويس التاسع في هذه القرية.

- طلب لويس التاسع الأمان هو ومن معه من القواد، فتم حملهم إلى المنصورة، حيث تم تقييد الملك ب قيد من حديد واعتقاله في دار القاضي فخر الدين إبراهيم بن لقمان، واعتقل معه أخوه شارل كونت انجلو، والفونسو كونت بواتيه.
- أحسن السلطان تورانشاه معاملة لويس وأخيه وكبار باروناته في أسرهم، حيث خصص لهم من يقوم بخدمتهم.
- بعد فترة من الأسر، تقرر أن يفتدي لويس نفسه بتسليم مدينة دمياط ودفع مبلغ من المال لإخلاء سراحه مع أخويه وكبار قواده.
- وافق الملك لويس التاسع على هذا العرض، وتم عقد معاهدة صلح بين المسلمين والصليبيين لمدة عشرة سنوات وفقاً للشروط التالية:
 - أن يسلم الملك لويس التاسع مدينة دمياط للمسلمين فدية عن نفسه.
 - أن يدفع الملك لويس مبلغاً من المال قدره ثمانمائة ألف بيزنط كفدية عن باقي الأسرى الفرنسيين وتعويضاً للمسلمين عن الخسائر التي تكبدها المصريون.
 - أن يتم إطلاق سراح الملك لويس وأخويه وكبار باروناته، بالإضافة إلى جميع الأسرى المسلمين الذين تم أسرهم خلال المعركة وفي الأراضي المقدسة في عهد العادل والكمال والصالح أيوب.
 - أن يعمل الصليبيون على حفظ الأمن وإقرار السلام في الأراضي التي يحتلونها في فلسطين.
 - أن يتعهد سلطان مصر بإطلاق سراح جميع الأسرى الفرنسيين الذين وصلوا إلى الشاطئ المصري.
 - إخلاء سبيل جميع الأسرى الصليبيين الذين أسرهم المسلمون منذ معاهدة يافا في ١٢٢٨م.
 - أن يتعهد السلطان بحماية عتاد الفرنسيين وأثقالهم الموجودة في دمياط إلى أن يتمكنوا من نقلها إلى بلادهم.
 - منح الصليبيين المرضى وغيرهم الذين سيقون في دمياط أماناً مائلاً، بحيث يستطيعون بيع ممتلكاتهم والرحيل بحرية.
- تم تبادل القسم بين الطرفين للمحافظة على الهدنة وعدم الإخلال بها.
- وبذلك، فشلت الحملة الصليبية السابعة، وكان للمماليك البحرية دور كبير في هزيمة الفرنج، حيث برزت شخصيات مثل فارس الدين أقطاي، وعز الدين أيبك، وبيبرس البندقداري في المعارك التي أظهروا خلالها شجاعة وقدرة عسكرية فائقة.

الفصل الرابع

قيام دولة المماليك

نهاية الدولة الأيوبية وقيام الدولة المملوكية

- **معركة المنصورة:** كانت بداية حقيقية لظهور المماليك كقوة عسكرية قادرة على التصدي للصليبيين.
- **صعود دولة المماليك:** المعركة كانت بداية لدولة المماليك التي كانت امتدادًا للدولة الأيوبية من حيث البنية العسكرية والاقتصادية.
- **فرسان المماليك:** من أبرز القادة الذين شاركوا في المعركة: فارس الدين أقطاي، عز الدين أيبك، وركن الدين بيبرس.
- **الحملة الصليبية السابعة:** انتهت بخروج الصليبيين وهزيمتهم، ما مهد الطريق لنهاية الدولة الأيوبية وقيام الدولة المملوكية.

أخطاء توران شاه الأيوبي:

1. فشل في توحيد المسلمين: لم يعمل على توحيد المسلمين بشكل كامل للقضاء على الخطر الصليبي.
2. التخلص من شجر الدر والمماليك: نقم على زوجة أبيه شجر الدر وهددها بالاستيلاء على أموال والدها.
3. الجفاء تجاه المماليك: أظهر جفاءً تجاههم وأغدق المناصب والعطايا على رجاله الذين جاء بهم.
4. عدم اتباع وصية أبيه: كان والده قد أوصى به عن المماليك، طالبًا حسن معاملتهم وتقديرهم، لكنه لم ينفذ الوصية.
5. سلوك غير مسؤول: كان يسكر ويطفئ الشموع بسيفه، ويذكر أسماء زعماء المماليك، مما كشف نواياه.

مؤامرة قتل توران شاه:

- بسبب تصرفاته، تأمر عليه كبار زعماء المماليك.
- في 2 مايو 1250م (27 محرم 648هـ)، تم قتله على يد أحد أمراء المماليك الذي ضربه بالسيف.
- فر توران شاه إلى برج خشبي، وأشعل المتآمرون النار فيه، ليقفز إلى النيل ويموت غريقًا.

شجر الدر:

- **مصرع توران شاه:** بعد قتله، وجد قتلة توران شاه أن الأمور غير مهيئة ليتولى أحدهم منصب السلطنة.
- **اختيار شجرة الدر:** تم اختيار شجرة الدر لتولي السلطنة، بينما تم تعيين عز الدين أيبك أتابكًا للعسكر، وتم الخطب لها على المنابر في مصر والقاهرة.

آراء المؤرخين حول شجرة الدر:

1. **شجرة الدر كأول سلطنة مملوكية:**
 - بعض المؤرخين يعتبرون أن شجرة الدر هي أول سلطنة مملوكية، نظرًا لأن أصلها يعود إلى المماليك، حيث كانت جارية تركية أو أرمنية اشتراها الصالح نجم الدين أيوب، ثم أعتقها وتزوجها.
2. **شجرة الدر كآخر سلطنة أيوبية:**
 - مؤرخون آخرون يرون أن شجرة الدر كانت آخر سلاطين الدولة الأيوبية. ويستندون في ذلك إلى عدة نقاط:
 - **اختيارها للسلطنة:** تم اختيارها لأنها كانت زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب المفضلة، وكانت تتمتع باحترام ونفوذ كبيرين في حياته.
 - **توقعاتها:** كانت توقعاتها باسم "أم خليل المستعصمية صاحبة الملك الصالح"، مما يعكس مكانتها كأم للملك الخليل.
 - **نسبها إلى البيت الأيوبي:** كانت تنسب نفسها إلى العائلة الأيوبية وتذكر اسمها على السكة وفي الخطبة بصفتها جزءًا من البيت الأيوبي.

- **الاستنتاج:** البعض يرى أن شجرة الدر لم تكن سلطنة مملوكية لأن المماليك كانوا يفضلون اختيار أحد أمرائهم (مثل بيبرس أو أقطاي أو أيبك أو قلاوون) إذا كان الأمر يتعلق بتولي السلطة المملوكية.
- **تولي شجرة الدر السلطنة:**

- **وصفها:** كانت شجرة الدر أول ملكة تحكم مصر في العصر الإسلامي، وتمكنت من قبض زمام الحكم بيد من حديد، مما جعل المؤرخ ابن إياس يصفها بأنها "امرأة صعبة الخلق، شديدة الغيرة، ذات شهامة زائدة، وحومة وافرة، سكوانة من خمر التيه والعجب".
- **جهودها الأولى:** ركزت جهودها في التخلص من بقايا الحملة الصليبية السابعة، وتم الاتفاق على فدية قدرها 800,000 دينار مع الملك لويس التاسع.
- **المفاوضات مع لويس التاسع:** جمعت الملكة مرجريت المبلغ المطلوب لدفع نصف الفدية، وتم تسليم دمياط في مايو 1250م، ثم أبحر لويس التاسع إلى عكا.
- **رفض المصريين لتوليها السلطنة:** رغم قدرتها على إدارة الحكم، عارض المصريون تولي امرأة للسلطنة، وحدثت مظاهرات واضطرابات في القاهرة ضدها.
- **الخلاف مع الخليفة العباسي:**

- **طلب الدعم من الخليفة العباسي:** خوفاً من التحديات، كتب أمراء المماليك إلى الخليفة العباسي لطلب تأييد سلطنة شجرة الدر، إلا أن الخليفة رفض قائلاً: "إن كانت الرجال قد عدمت عندكم، أعلمونا حتى نسير إليكم رجلاً".
- **استجابة الخليفة:** بعد وصول خطاب الخليفة إلى القاهرة، أدرك أمراء المماليك أنهم يواجهون تحديات كبيرة، واقتنعوا بأن سلطنة شجرة الدر لا تتوافق مع التقاليد الإسلامية، فقرروا ضرورة إقامة رجل للسلطنة.
- **زواج شجرة الدر من عز الدين أيبك:**

- **الاقتراح:** بعد ثمانين يوماً من الأزمة، أشار أمراء المماليك لشجرة الدر بأن تتزوج الأتابك أيبك وتتنازل له عن العرش. فقبلت بذلك.
- **تولي أيبك السلطنة:** تزوجت شجرة الدر من أيبك، وخلعت نفسها عن العرش، ليتولى أيبك العرش باسم "السلطان المعز عز الدين أيبك".
- **مكانة أيبك:**

- **مقارنة مع الأمراء الآخرين:** كان أيبك ليس الأكبر سناً أو الأقوى مكانة بين الأمراء، وكان البعض يعتقد أنه ضعيف النفوذ، مثل فارس الدين أقطاي والظاهر بيبرس.
- **مزايا أيبك:** كان يتمتع بديانة وصيانة وعقلية سياسية، مما ساعده في إنقاذ دولة المماليك من الخطر المحقق، وأثبت كفاءته في إدارة البلاد.
- **الخلاصة:** تميزت فترة حكم شجرة الدر بالتحديات السياسية والشرعية، لكن زواجها من أيبك كانت خطوة نحو استقرار حكم المماليك، حيث تولى أيبك العرش وأصبح أحد أبرز سلاطين المماليك.

السلطان المعز أيبك (٦٤٨ - ٦٥٥ هـ / ١٢٥٠ - ١٢٥٧ م) :-

السلطان المعز عز الدين أيبك يُعتبر أحد أبرز السلاطين الذين وضعوا اللبنة الأولى لتأسيس الدولة المملوكية في مصر. وفي هذا السياق، يُظهر النص كيف واجه الخطر الأيوبي والصليبي كجزء من التحديات التي واجهت حكمه.

أولاً: الخطر الأيوبي والصليبي:

1. الخطر الأيوبي:

○ المعارضة الأيوبية في الشام:

1. رفض أمراء بني أيوب في الشام، وعلى رأسهم **الملك الناصر يوسف**، التنازل عن سلطتهم، واعتبروا المماليك قوة غاصبة للعرش.
 2. لجأ أيبك إلى إعلان شكلي لتقاسم السلطة مع الأمير **الأشرف موسى**، وهو طفل صغير من ذرية بني أيوب، كغطاء لتثبيت حكمه.
 3. لكن الأيوبيين كانوا يدركون أن الأمور الحقيقية بيد أيبك، فاستمروا في مقاومتهم.
- **الحل السياسي والدعم العباسي:**

1. أعلن أيبك أن سلطته نابعة من الخليفة العباسي، في محاولة لتقويض المعارضة الأيوبية، باعتبار أن الخليفة هو المرجعية الدينية والسياسية للمسلمين.
 2. نجح هذا التحرك السياسي في تهدئة بعض الخلافات.
- **المعارك مع الملك الناصر:**

1. في معركة كبيرة سنة 649هـ/1251م قرب العباسية، تمكن المماليك بقيادة **فارس الدين أقطاي** من تحقيق النصر على جيش الملك الناصر.
 2. هذا الانتصار دفع الناصر إلى التراجع إلى الشام.
2. **الخطر الصليبي:**

○ تحالف الأيوبيين مع الصليبيين:

1. سعى الملك الناصر إلى الاستعانة بالملك **لويس التاسع** (ملك فرنسا والمقيم في عكا) مقابل تسليمه بيت المقدس.
- **رد أيبك:**
1. هدد بقتل الأسرى الصليبيين في مصر إذا تدخل لويس ضد المماليك، ما دفع الأخير إلى الحياد.
3. **معاهدات الصلح:**

- بعد سنوات من المواجهة، تدخل الخليفة العباسي **المعتصم بالله** للتوسط بين الطرفين.
- توصلوا إلى اتفاق عام 651هـ/1253م نص على:
1. تنازل الملك الناصر عن غزة والقدس للمماليك.
 2. اعتراف الناصر بحكم المعز في مصر.
 3. بقاء المناطق الشامية تحت حكم بني أيوب.
- هذا الاتفاق ساهم في توحيد الجهود الإسلامية لمواجهة الخطر المغولي.

الدروس المستفادة:

- **الحكمة السياسية والعسكرية:** أظهر أيبك قدرة على توظيف الدبلوماسية والعلاقات مع الخليفة العباسي، بجانب قوته العسكرية، لتثبيت حكمه.

- **التعامل مع التهديدات المتعددة:** استطاع أيبك التغلب على تحديات داخلية وخارجية من خلال استراتيجيات مرنة وشاملة.
- **تمهيد الطريق للدولة المملوكية:** بانتهاء الصراع مع الأيوبيين، أصبح للمماليك قوة مستقلة ومؤثرة في العالم الإسلامي.

خاتمة:

ساهمت جهود السلطان المعز عز الدين أيبك في ترسيخ أركان الدولة المملوكية وتجاوز العقبات التي كادت أن تعصف بها في بدايتها، مما جعل حكمه مرحلة انتقالية مهمة في تاريخ مصر الإسلامية.

العوامل التي ترتبت على انتصار المماليك على الأيوبيين:

- كان لانتصار المماليك في هذا اللقاء على الأيوبيين أثر كبير في تثبيت مركز عز الدين أيبك ورسخت قدمه في الحكم.
-
- كان لتدخل الخليفة العباسي أثره في تثبيت حكم المماليك حيث يعد ذلك اعترافا صريحا باستقرار حكمهم في مصر .
-
- امتداد نفوذ المماليك على بعض المناطق في الشام مثل جنوب فلسطين بما في ذلك وبيت المقدس. غزة
-
- أيضا كان لهذا الانتصار أثره في قيام المعز بعزل شريكه في الحكم الأشرف موسى واستقل تمام بملك مصر .
-
- جدد المماليك اتفاقية الصلح التي كانت قد عقدت بينهم وبين لويس التاسع وعدلوا في شروطها لكي يضمنوا عدم تأييد الصليبيين للناصر يوسف والأيوبيين.

ثانيا : ثورة الأعراب سنة ٦٥١هـ / ١٢٥٣م :

أسباب الثورة:

1. سياسية:

- استبداد المماليك بالحكم واعتبار الأعراب أن لهم أحقية في حكم مصر كونهم "أصحاب البلاد".
- رفض الأعراب حكم المماليك ووصفهم بأنهم **خوارج** وعبيد مسهم الرق.
- طموحهم لإقامة دولة عربية مستقلة بقيادة شريف علوي من بني ثعلب وهو **حصن الدين ثعلب بن تغلب الجعدي**.

2. اقتصادية:

- **تعسف المماليك** في جمع الضرائب وفرض مبالغ باهظة.
- إحجاف أمراء المماليك في تحديد أسعار المحاصيل الزراعية واحتكارها.
- سوء معاملة الأعراب مما أدى إلى زيادة غضبهم ودفعهم للتمرد.

مسار الثورة:

● بداية الثورة:

- تجمع العرب بقيادة **حصن الدين ثعلب** في منطقة **دهروط حربان** (ديروط حاليًا) وانضم إليهم الأعراب من الصعيد، الوجه البحري، البحيرة، الجيزة، والفيوم.
- بلغ عدد فرسان الثورة 12 ألف فارس، إضافةً إلى حشود كبيرة من المشاة.
- إقامة الدولة العربية:

- تمكن **حصن الدين ثعلب** من إقامة دولة عربية مستقلة في:
 - مصر الوسطى.
 - الشرقية بالوجه البحري.
- اتخذت الدولة من **ذروة الشريف** (بالفيوم) مقرًا لها.
- اتصالهم بالناصر يوسف:

- طلب **حصن الدين ثعلب** المساعدة من **الناصر يوسف الأيوبي** في الشام، لكنه لم يحصل على دعم بسبب انشغال الناصر بالمفاوضات مع أيبك.

أحمد كرم

القضاء على الثورة:

● رد فعل أيبك:

- أرسل السلطان **عز الدين أيبك** حملة عسكرية بقيادة **فارس الدين أقطاي**.
- قوام الحملة كان 5,000 فارس، ورغم تفوق العرب عدديًا لم يتمكنوا من الصمود أمام فرسان المماليك.
- هزيمة الأعراب:

- فر **حصن الدين ثعلب** ومعه العديد من فرسانه.
- هاجم المماليك الأعراب في الشرقية والغربية والمنوفية وأوقعوا بهم خسائر فادحة.
- استسلام وقمع الثورة:

- طلب **حصن الدين الأمان** من السلطان **أيبك**، الذي استجاب له ظاهريًا وأمن 2,600 فارس ومشاة من الأعراب.
- أصدر **أيبك** أمرًا بشنق الجميع عدا **حصن الدين** الذي أرسل إلى سجن الإسكندرية.
- مصير **حصن الدين ثعلب**:

- عاش حرًا بعد ذلك لفترة، لكن السلطان **بيبرس** تمكن من القبض عليه لاحقًا وقام بشنقه.

نتائج الثورة:

1. تثبيت حكم المماليك:
 - نجح السلطان عز الدين أيبك في القضاء على الثورة، مما عزز سلطته وأمن حكم المماليك.
2. اتباع سياسة البطش:
 - فرض المزيد من الضرائب والهدايا على الأعراب لإضعاف قوتهم وإخضاعهم.
3. استمرار خطر الأعراب:
 - لم يتم القضاء نهائياً على خطر الأعراب، واستمر وجودهم كمصدر تهديد حتى نهاية حكم المماليك.

الخاتمة:

ثورة الأعراب سنة 651هـ تعكس مدى التوتر بين المماليك والأعراب بسبب الاختلاف في طبيعة الحكم والمعاملة الاقتصادية. على الرغم من نجاح المماليك في قمع الثورة، إلا أنها سلطت الضوء على هشاشة العلاقة بين الحاكم والمحكوم في تلك الفترة.

ثالثاً: خطر زملائه المماليك

1. التحديات الداخلية:

● خطر المماليك البحرية:

- كان فارس الدين أقطاي يمثل تهديداً كبيراً لأيبك بسبب نفوذه القوي وسطوته على الدولة.
- تصرفات أقطاي وأتباعه أثارت استياء الشعب وأضعفت هيبة أيبك.
- خطط أقطاي للاستيلاء على السلطة عبر تزويجه من أميرة أيوبية، مما أثار قلق أيبك.
- تمكن أيبك من استدراج أقطاي إلى القلعة وقتله بالتعاون مع مجموعة من أتباعه.

2. التحديات السياسية:

- فرار أتباع أقطاي بعد مقتله إلى الشام ومناطق أخرى أثار توترات مع الدول المجاورة.
- الناصر يوسف الأيوبي استغل الوضع للمطالبة بمدن فلسطينية، واستجاب أيبك لتجنب المزيد من التصعيد.

3. السياسات الاستراتيجية:

- أيبك حاول تعزيز سلطته بتوطيد العلاقات مع الخليفة العباسي وأمراء المناطق المجاورة مثل بدر الدين لؤلؤ.
- سعى أيبك لتوسيع تحالفاته عبر الزواج، ولكن هذه الخطوة أثارت غيرة شجرة الدر التي كانت سبباً في مقتله لاحقاً.

4. النهاية المأساوية:

- شجرة الدر، التي كانت في البداية داعمة لأيبك، دبرت مؤامرة لاغتياله بعد أن شعرت بتجاهله لها.
- بعد مقتل أيبك، انقسمت المماليك بين فريقين: فريق يدعم نور الدين علي بن أيبك، وفريق يدعم المماليك البحرية.

5. النهاية السياسية:

- بعد صراعات على السلطة، تم القبض على شجرة الدر وقتلها، مما أنهى فصلاً مليئاً بالتوترات والصراعات داخل الدولة المملوكية.

هذه الأحداث تلقي الضوء على تعقيدات الحكم في العصر المملوكي، حيث كانت المؤامرات والصراعات الداخلية عاملاً حاسماً في تشكيل مستقبل السلطنة.

السلطان الملك المنصور نور الدين علي بن أيبيك (٦٥٥ - ٦٥٧ هـ / ١٢٥٧ - ١٢٥٩ م)

عهد السلطان الملك المنصور نور الدين علي بن أيبيك (655 - 657 هـ / 1257 - 1259 م) يمثل فترة انتقالية في تاريخ الدولة المملوكية، حيث شهدت هذه الفترة العديد من الأحداث الداخلية والخارجية المؤثرة على الدولة.

توليه الحكم:

بعد مقتل عز الدين أيبيك، تعصب المماليك المعزية لابن سيدهم، نور الدين علي، ونصبوه سلطاناً رغم صغر سنه (15 عاماً) في ربيع الأول سنة 655 هـ / 1257 م. تم تلقيبه بـ "الملك المنصور".
لكن بسبب قلة خبرته وصغر سنه، أصبح سيف الدين قطز نائب السلطنة الأتابك الفعلي للدولة، حيث أدار شؤون الحكم عملياً.

أهم الأحداث في عهده:

1. أطماع الأيوبيين:

- **محاولات الملك المغيث عمر صاحب الكرك:**
تحرك الأيوبيون، بقيادة الملك المغيث عمر، بدعم من المماليك البحرية للإطاحة بالمماليك المعزية والسيطرة على مصر.
○ المحاولة الأولى: قاد جيشاً نحو مصر في ذي القعدة سنة 655 هـ / 1257 م. لكن جيش نائب السلطنة، سيف الدين قطز، تصدى له وهزمه عند الصالحية، مما أجبر المغيث على العودة مهزوماً إلى الكرك.
○ المحاولة الثانية: حاول الملك المغيث مرة أخرى في ربيع الأول سنة 656 هـ / 1258 م، لكن قطز تصدى له مجدداً وألحق به هزيمة أخرى.

2. الخطر المغولي:

- **اجتياح المغول للمشرق الإسلامي:**
في صفر سنة 656 هـ / فبراير 1258 م، استولى المغول بقيادة هولاكو على بغداد، عاصمة الخلافة العباسية.
○ نتائج سقوط بغداد:
1. فقد المشرق الإسلامي استقلاله.
2. استحالة تحقيق الوحدة الإسلامية بعد سقوط الخلافة.
3. خسائر ثقافية فادحة، حيث دُمرت آلاف الكتب والمخطوطات وقتل العديد من العلماء والمفكرين.
4. سقوط الخلافة العباسية بقتل الخليفة المستعصم بالله.
○ انتقل مركز الزعامة الإسلامية إلى القاهرة، مما زاد من أهمية مصر كقاعدة لمقاومة المغول.

عزل المنصور نور الدين علي:

بسبب ضعف السلطان وصغر سنه، وبعد فشل محاولات الأيوبيين والمغول في الاستيلاء على مصر، قرر سيف الدين قطز عزل المنصور علي في سنة 657هـ / 1259م. تولى قطز السلطنة ليقود الدولة المملوكية في مواجهة المغول، وهي المرحلة التي شهدت معركة عين جالوت الحاسمة.

خاتمة:

عهد الملك المنصور نور الدين علي كان مرحلة قصيرة لكنها مليئة بالتحديات. أدى ضعف قيادته إلى تسليم زمام الأمور لقطز، الذي أثبت جدارته وقاد الدولة المملوكية إلى عصر جديد من القوة والاستقلال.

استمرت فترة حكم الملك المنصور نور الدين علي بن أيك (655 - 657هـ / 1257 - 1259م) رغم قصرها في ظل تحديات داخلية وخارجية هائلة أثرت بشكل كبير على الدولة المملوكية والدول المجاورة لها. ومن أبرز هذه التحديات كان الاجتياح المغولي ومحاولات الأيوبيين لتحقيق مصالح شخصية.

محاولات الملك الناصر يوسف والتعاون مع المغول:

- الملك الناصر يوسف صاحب دمشق لجأ إلى هولاكو طلباً للدعم العسكري للاستيلاء على مصر مقابل خضوعه لحكم المغول.
- إلا أن هولاكو كان لديه أطماع شخصية في السيطرة على مصر والشام بشكل كامل، فأجبر الناصر على الخضوع له دون قيد أو شرط.
- بعد أن أدرك الناصر خطورة الوضع، تحول من محاولة غزو مصر إلى طلب النجدة منها لمواجهة المغول.

اجتياح المغول للشام:

- بدأ المغول باجتياح المناطق الشمالية من بلاد الشام، حيث استولوا على ديار بكر وأمد، وصولاً إلى حلب في صفر سنة 658هـ / 1260م.

○ سقوط حلب:

- قاومت حلب مقاومة بطولية بقيادة الملك الكامل محمد الأيوبي، لكنها سقطت بعد سبعة أيام من القتال والتخريب.
- استشهد الملك الكامل، وأصبحت المدينة تحت سيطرة المغول الذين مارسوا التخريب وسفك الدماء.
- هذا الحدث أدى إلى زعزعة الأيوبيين في الشام ودفع بعضهم للخضوع للمغول، مثل الملك الأشرف موسى صاحب تل باشر.
- بعد سقوط حلب، فر الملك الناصر يوسف من دمشق جنوباً باتجاه غزة، أملاً في تلقي الإمدادات من المماليك في مصر.
- تمكن المغول من القبض على الناصر يوسف وأسرهم مع ولده العزيز وأخيه غازي، وتم إرسالهم إلى هولاكو.

المغول في دمشق:

- دخل التتار دمشق دون قتال بعد فرار الناصر يوسف.
- تسبب سقوط دمشق في حالة من الفزع الكبير بين سكان الشام، حيث استمر المغول في التوغل جنوبًا وصولًا إلى بعلبك وتهديد المناطق القريبة من الحدود المصرية.

عزل المنصور نور الدين علي:

- في ظل تهديد المغول، دعا سيف الدين قطز إلى اجتماع للأمرء والقضاة لبحث الوضع الحرج.
- أكد قطز على ضرورة وجود قائد قوي يستطيع التصدي للخطر المغولي، مشيرًا إلى أن الملك المنصور علي كان صغير السن وغير مؤهل لإدارة المملكة.
- اتفق الجميع على أن قطز هو الأنسب لقيادة البلاد في هذا الوقت العصيب.
- في ربيع الأول سنة 657هـ / 1259م، أقدم قطز على عزل المنصور نور الدين علي، وقام بنفيه مع أسرته.
- على الرغم من غضب بعض المماليك المعزية من عزل المنصور، أقنعهم قطز بأن الهدف الأساسي هو توحيد الصفوف لمواجهة المغول، ووعدهم بأن الأمر سيكون بأيديهم بعد كسر العدو.

مدة حكم الملك المنصور:

- استمرت فترة حكمه سنتين وثمانية أشهر وثلاثة أيام، لكنها كانت مليئة بالتحديات التي أظهرت الحاجة إلى قيادة حازمة لمواجهة التهديدات الداخلية والخارجية.

الخاتمة:

عزل الملك المنصور كان نقطة تحول كبيرة في تاريخ الدولة المملوكية، حيث أتاح ذلك لسيف الدين قطز تولي السلطنة والاستعداد لمواجهة المغول. هذه الخطوة قادت لاحقًا إلى معركة عين جالوت الحاسمة التي أعادت للمسلمين الهيبة ووضعت حدًا للتمدد المغولي في المنطقة.

المظفر سيف الدين قطز : (٦٥٧ - ٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ - ١٢٥٦ م)

المظفر سيف الدين قطز: بطل عين جالوت وحامي الديار الإسلامية

بعد عزل الملك المنصور نور الدين علي بن أيك، تولى سيف الدين قطز السلطنة يوم السبت 24 ذي القعدة 657هـ / 1259م، وسط توافق واسع من كبار الأمراء وقادة الجيش. عُرف قطز بشجاعته وحنكته السياسية، مما أهله لقيادة الدولة المملوكية في فترة حرجة من تاريخ الأمة الإسلامية.

نشأته وحياته المبكرة:

- الاسم الأصلي لقطز كان **محمود بن ممدود**، وينتمي إلى البيت الخوارزمي، وهو ابن أخت السلطان **جلال الدين خوارزم شاه**.
- بعد سقوط دولة خوارزم على يد التتار، أُسر قطز صغيرًا واقتيد مع أطفال آخرين إلى دمشق، حيث بيع كعبد.
- يُعتقد أن اسم "قطز" مستمد من كلمة مغولية تعني "الكلب الشرس"، وهو الاسم الذي أطلقه عليه خاطفوه أو تجار الرقيق.
- وصل قطز إلى مصر ضمن مجموعة من المماليك، وأصبح جزءًا من نخبة المماليك البحرية تحت قيادة الملك المعز أيك التركماني.

صعوده السياسي والعسكري:

- نال قطز مكانة مميزة لدى الملك المعز أبيك، حيث ترقى سريعاً ليصبح نائب السلطنة وأحد أبرز قادة الدولة.
- برز قطز على الساحة السياسية بعد مشاركته في التخلص من فارس الدين أقطاي زعيم المماليك البحرية، مما مهد الطريق لتعزيز مكانته في الدولة.
- لعب دوراً محورياً في استقرار الأوضاع بعد مقتل المعز أبيك وزوجته شجر الدر، مما جعله الشخصية الأقوى في الدولة خلال حكم المنصور نور الدين علي.

تولييه السلطنة:

- نتيجة التهديد المغولي الداهم واحتياج مصر لقائد قوي، بادر قطز بعزل السلطان المنصور علي، الذي كان صغير السن وغير قادر على إدارة البلاد.
- وافق الأمراء على تولي قطز السلطة، وتم تلقيبه بـ"المظفر"، ليصبح أول مملوك يعزل ابن أستاذه ويجلس على عرش السلطنة.

إصلاحاته الداخلية:

- عمل قطز على توطيد حكمه والتخلص من معارضييه داخل الدولة قبل مواجهة التتار.
- قام بعزل الوزير ابن بنت الأعز، وعين مكانه زين الدين يعقوب بن عبد الرفيق، لإعادة هيكلة الإدارة.
- قمع معارضة بعض كبار الأمراء الذين لم يرضوا عن عزله للمنصور علي، مستعرضاً حكمته في إخماد الفتن الداخلية.

أحمد كرم

الخاتمة:

بقيت مصر والشام تحت تهديد التتار، لكن قطز أدرك أهمية توحيد الجبهة الداخلية قبل التصدي للخطر الخارجي. حكمه القصير مهد الطريق لمعركة عين جالوت الشهيرة التي ستكتب في تاريخ الأمة الإسلامية كأحد أعظم انتصاراتها. قطز لم يكن مجرد سلطان، بل كان قائداً استثنائياً جمع بين الشجاعة والبصيرة السياسية، ليصبح نموذجاً يُحتذى به في تاريخ المماليك والإسلام.

معركة عين جالوت: ملحمة الانتصار على المغول بقيادة المظفر سيف الدين قطز

رسالة التتار وقرار المواجهة

بعد تهديد المغول للمماليك بإرسال رسالة من **هولاكو** تطالب بالاستسلام وتحمل الوعيد والتهديد، عقد **قطز** مجلساً مع كبار أمراء دولته ليعلم عزمه على مواجهة التتار، رغم اعتراض بعض الأمراء وترددهم. في خطبة مؤثرة أظهر فيها شجاعته وصدق عزمه، قال قطز: "يا أمراء المسلمين، لكم زمان تأكلون أموال بيت المال، وأنتم للغزاة كارهون. وأنا متوجه فمن اختار الجهاد يصحبي، ومن لم يختار ذلك يرجع إلى بيته. فإن الله مطلع عليه، وخطيئة حريم المسلمين في رقاب المتأخرين." كلماته القوية أثرت في نفوس الأمراء وجعلتهم يستجيبون لنداء الجهاد.

الاستعداد للمواجهة

لم يُرهب قطز من أساليب التتار النفسية التي اعتادوا استخدامها لترويع الملوك والشعوب. بدافع من الشجاعة وحب الإسلام، قام بتمزيق خطاب هولاء و قتل السفراء وعلق رؤوسهم على باب زويلة، في رسالة قوية مفادها أن المماليك لن يستسلموا. أخذ قطز في حشد القوات وتجهيز الجيش، وأصدر أمراً عاماً بالخروج إلى الجهاد. لتمويل الحملة، فرض ضرائب جديدة، لكنه امتثل لرأي العلماء والقضاء بضرورة تقديم أموال السلطان والأمراء أولاً. جمع الأموال اللازمة تحت إشراف الشيخ عز الدين بن عبد السلام.

معركة عين جالوت: 26 رمضان 658هـ / 3 سبتمبر 1260م

بداية المعركة

- التقى الجيشان في سهل **عين جالوت**: المغول بقيادة **كتبغا** تمركزوا قرب الجبل، بينما تمركز جيش المسلمين بقيادة قطز في الوادي.
- بدأ المغول الهجوم وتمكنوا من إرباك الجناح الأيسر للمماليك، مما أدى إلى اضطراب كبير بين المسلمين.

حسم قطز للمعركة

- ألقى قطز خوذته وصاح بأعلى صوته: **"وا إسلاماه!"**، وحمل بنفسه مع قواته حملة صادقة على المغول.
- قُتل **كتبغا** قائد المغول، وانهارت صفوفهم، مما أدى إلى قتل وأسر أعداد كبيرة وفرار الباقين.
- تميز الأمير **بيبرس** بأدائه البطولي في القتال.

معركة بيسان

- حاول المغول إعادة تنظيم صفوفهم عند **بيسان**، ووقعت مواجهة أخرى شرسة.
- مرة أخرى، تقدم قطز بنفسه، مردداً: **"وا إسلاماه!"**، مما رفع معنويات جيشه.
- انتهت المعركة بهزيمة ساحقة للمغول، وهي الأولى في تاريخهم، مما أدى إلى كسر هيبتهم أمام العالم الإسلامي.

النصر وشكر الله

بعد تحقيق النصر العظيم:

- نزل قطز عن فرسه وسجد شكراً لله، وقَبِل الأرض وصلى ركعتين.
- كانت هذه المعركة نقطة تحول في التاريخ، إذ حفظت العالم الإسلامي من اجتياح التتار وأثبتت قوة المماليك كحماة للإسلام.

الخاتمة

معركة عين جالوت لم تكن مجرد انتصار عسكري، بل كانت ملحمة أظهرت الشجاعة والإيمان والقيادة الحكيمة لـ **سيف الدين قطز**، الذي واجه أعظم قوة في عصره وانتصر عليها، لتبقى ذكراه خالدة في سجل التاريخ الإسلامي.

نتائج معركة عين جالوت

نتائج معركة عين جالوت

1. **الهزيمة الأولى للمغول:**
كانت عين جالوت أول معركة فاصلة يمنى فيها المغول بهزيمة ساحقة، مما أنهى الخرافة القائلة إن المغول لا يُهزمون.
2. **تعزيز مكانة المماليك:**
أكسب هذا الانتصار دولة المماليك قوة كبيرة، ودعم مركزها كقيادة للعالم الإسلامي، وأثبتت المماليك جدارتهم بالدفاع عن الأمة الإسلامية.
3. **ضم الشام إلى مصر:**
أدى الانتصار إلى تعزيز مطامع السلطان قطز في توحيد مصر والشام، حيث تم القضاء على الهيبة السياسية للأيوبيين الذين كانوا تحت سيطرة المغول.
4. **تغير موازين القوى:**
انهارت القوى السياسية والعسكرية للخلافة العباسية والتيجان الأيوبية، وظهرت دولة المماليك وريثة شرعية لهذه الكيانات.
5. **تحرير الشام:**
كان هذا الانتصار بداية لتحرير بلاد الشام من السيطرة المغولية.
6. **طرد الصليبيين:**
شجع النصر في عين جالوت المماليك على مواجهة الإمارات الصليبية واستعادتها من أيدي الصليبيين.
7. **تحالفات جديدة:**
أسهمت المعركة في تحسين العلاقات بين المماليك والمغول المسلمين في القفقاق، مما أدى إلى انتشار الإسلام بين القبيلة الذهبية.
8. **انتقام أهالي الشام:**
أثار النصر حماسة أهل الشام الذين انتقموا من المغول ومعاونيهم، خاصة من النصارى الذين اعتدوا على المسلمين خلال الاحتلال المغولي.
9. **حماية مصر والعالم الإسلامي:**
لولا هذا الانتصار، لكان المغول اجتاحت مصر وقضوا على آخر معاقل الإسلام، مما كان سيغير تاريخ الشعوب الإسلامية.
10. **إعادة الأمن:**
عمل قطز على إعادة الأمن والاستقرار في الشام، وأعاد بعض أمراء الأيوبيين إلى حكم مناطقهم بشرط الولاء ودفع الجزية.
11. **توتر بين قطز وبيبرس:**
أدى تعيين الملك السعيد نائباً على حلب بدلاً من بيبرس إلى توتر العلاقة بين قطز وبيبرس، وكان ذلك أحد أسباب

مقتل قطز لاحقاً.

معركة عين جالوت ليست مجرد انتصار عسكري، بل حدث تاريخي أعاد تشكيل مستقبل العالم الإسلامي، وأكد أن القوة والإيمان قادرة على التصدي لأكبر التحديات.

أحمد كرم